مجلة منبر الإسلام

دينية ثقافية

رة ذى الحجة سنة ١٣٧٣ هـ – ٣١ يوليه سنة ١٩٥٤ – العدد الثانى عشر من السنة الحادية عشرة

المدير ورئيس التحرير
البهى الخولى
مدير قسم المساجد
الادارة قسم المساجد
وزارة الأوقاف
تليفون ٢٧٦٩٤

منبر الإسلام
مجلة المساجد
دينية ثقافية

الاشتراكات لمدة سنة
داخل القطر ٤٨٠ مليم
خارج القطر ٦٠٠ م
العدد الثانى عشر
من السنة الحادية عشرة

﴿ يصدرها قسم المساجد بوزارة الأوقاف ﴾
غرة ذى الحجة سنة ١٣٧٣ هـ الموافق ٣١ يوليه سنة ١٩٥٤ م

الفهرس

	صفحة
هداية القرآن	
مناهج المعرفة فى القرآن الكريم : للسيد محمد عبد المنعم خفاجى	٣
هدى الرسول :	
قداسه الأمة بنصرة الحق : للسيد جاد المولى سليمان	٧
أسرار الشريعة :	
البدع فى العبادات والعادات : للسيد محمد الغزالى	١١
أحكام مختصرة فى الأضحية : للسيد السيد سابق	١٨
أعلام الاسلام :	
عمار بن ياسر : للسيد البهى الخولى	٢١

صفحة

الخطابة :

القرآن دعوة الحق : للسيد حامد محمود اسماعيل ٢٨

حكم الحج وأسراره : للسيد محمد امام أحمد الحلبي ٣١

المنبر العام :

خلق المسلم « للسيد محمد الغزالى » : للسيد محمد فياض ٣٤

التعاقد بين الغائبين : للسيد . م . ج ٤١

التطورات البشرية : للسيد محمد رجب البيومى ٥٠

المرأة فى مفترق الطريق : للسيد أحمد عبد الوهاب الجماحى . . . ٥٧

بريد المجلة ٦١

من عالم الفكر والروح : للسيد جاد المولى سليمان ٦٣

هداية القرآن

مناهج المعرفة فى القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم، ويتبع كل شيطان مريد(١)». ويقول: «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير(٢)». ويقول: «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله، له فى الدنيا خزى، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق، ذلك بما قدمت يداك، وأن الله ليس بظلام للعبيد(٣)».

فى هذه الآيات الكريمة تحديد واضح لمناهج المعرفة، ومذاهب التفكير والفهم عند البشر. وقد عنى القرآن الكريم فى هذه الآيات، وفى سواها مما لم نذكره، أن يوضح للبشر دون لبس منابع الحقيقة واضحة بينة، حتى لا يضلوا فى بيداء الحياة، أو يتشعب بهم الظن فى مجال البحث واليقين، وحتى يبنوا عقائدهم وآراءهم على أساس سليم مستقيم.

والقرآن الكريم يذكر فى الآية الأولى صنيع بعض المشركين المتمردين على عقيدة التوحيد، الدائبين على الحجاج والجدل فى الله، دون أن يرتكز جدلهم على دعامة من العلم والبرهان والمنطق، ودون أن يخضع نقاشهم لحكم

---

(١) أى متمرد متجرد للفساد والإضلال — آية ٣ سورة الحج.

(٢) آية ٢٠ و ٢١ سورة لقمان.

(٣) الآيات ٨ و ٩ و ١٠ سورة الحج.

العقل والانصاف . وإنما يخبطون خبط عشواء ، ويسيرون فى صحراء ظلماء ، لايفرقون بين حق وباطل ولا يحاولون الرجوع إلى الحق أو التزامه أو الدفاع عنه . . . فهم يتنازعون فى ذات الله وفيما يجوز عليه وما لا يجوز من صفات وأفعال ، ويقولون من الأباطيل ما يقولون ، ملابسين للجهل ، ويتبعون فى أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم كل شيطان عات ضال مضل عن سبيل الله . وذلك من أشباه أبى جهل ، والأخنس بن شريق ، والنضر بن الحارث ، وسواهم ، وكان النضر يقول : « الملائكة بنات الله ، والقرآن أساطير الأولين ، ويقول : « إن ما يأتيكم به محمد كما كنت أحدثكم به عن القرون الماضية » ، ويقول : « الله غير قادر على إحياء من بلى وصار ترابا » وكان يذهب إلى فارس فيشترى كتب الفرس وأساطيرهم فيحدث بها قريشا ؛ ويقول : « إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة » . والآية عامة فى كل من أمعن فى الجدال دون علم أو برهان ، ومن يضل ويضل بذلك عن سبيل الله ودينه وشريعته .

وكذلك الآيتان الأخريان من سورة لقمان تؤكدان هذه المعانى ، وأن من الناس من يدأب على الجدل فى ذات الله وصفاته ، أو فى دينه وشرائعه ، دون علم واستبصار ويقين مأخوذ من دليل عقلى ، ودون هدى وإرشاد مستفاد من هاد ومرشد من الرسل والأنبياء ، ودون كتاب منير واضح جلى هاد لاخفاء فى هديه ، منزل من الله عز وجل إلى رسول من رسله المكرمين ، فهو لا يؤمن بالدين وإنما يؤمن بالأوهام والتقاليد والعادات الموروثة والأساطير الكاذبة ، يتخذها منهجا له فى التفكير والبحث ، ويهمل عقله إهمالا ، ويفسد فطرة الله فى نفسه إفسادا شديدا ، وهل هناك ما هو أضر على الإنسانية من ذلك التقليد الأعمى ، والاتباع المرذول ، وهل حارب القرآن الكريم شيئا كما حارب التقليد وصنيع المقلدين ؟ ولذلك ذهب الأئمة إلى أن التقليد فى أصول العقائد ضلال غير جائز ، حتى قال الرازى : « وأكثر العلماء على أن التقليد لا يكفى فى أصول

العقائد » ويؤكد القرآن أن مثل هؤلاء إنما يتبعون سبيل الشيطان ، والشيطان إنما يدعوهم إلى عذاب السعير .

أما الآيات الثلاث الأخيرة وهى من سورة الحج، فهى كذلك تأكيد لهذه المعانى الشريفة ، وتقرير لها ، وتوضيح لصنيع هؤلاء الناس ، الذين يتخذون الجدل بالباطل وسيلة للضلال والاضلال عن سبيل الله ، لا يرجعون فى جدلهم فى الله إلى العلم أو الهدى أو الكتاب المنير ، وهنا يفسر المفسرون العلم بالعلم الضرورى ، والهدى بالاستدلال والنظر الذى يهدى إلى المعرفة ، والكتاب المنير بالوحى، وإن كنا نحن لا نرى مانعا من تفسيرها بما فسرناها به آنفاً ، أو بما فسرها به المفسرون هنا، أو بتفسير آخر نذهب إليه ونرجحه، وهو أن المراد بالعلم الحقائق التى تستقر فى النفس، ويرشد إليها التفكير والبحث والدليل والتجربة ، والهدى المراد به الالهام النفسى الذى تمده فطرة الله فى النفس الانسانية التى فطرها الله على التدين والايمان. والكتاب المنير هو المنزل من السماء على رسول من الرسل يدعو إلى مبادئه ، ويبشر بشريعته وتكون أقواله وأفعاله تفسيرا لما تضمنه من أحكام وآداب ، وشرائع وشعائر وعقائد ومثل . . . ويؤكد الله عز وجل هنا أن الاعراض عن الحق والاستكبار عن السماع من الرسل ، هما ديدن هؤلاء الناس ، الذين حاربوا الرسالات الالهية ، وضلوا وأضلوا عن سبيل الله ، وأن لهم خزيا وهوانا فى الدنيا ، وعذابا أليما فى الآخرة بما اجترحوا من سيئات ، وما اقترفوا من آثام فى حق الله والعقل والانسانية والشعوب والجماعات ، والله عادل فى عقابه لا يظلم أحدا . ولا شك فى أن مثل هؤلاء يستحقون هذا العذاب ، فقد صدوا عن الله ودينه وتوحيده وجادلوا فى الله مجادلة عن جهل وعناد واستكبار ، دون أن يخضعوا فى جدلهم وحجاجهم لأصول العقل أو برهان العلم ، أو هداية السماء ، وإذا ما حاولت إقناعهم وإرشادهم وهدايتهم أصروا واستكبروا استكبارا ، وجادلوا بالباطل .

وقالوا زورا وبهتاناً، وأخذوا يثرثرون بما لا يعقله العقل، ويهرفون بما يزينون من الشرك والضلال والاضلال.

وهنا نجد القرآن الكريم يبنى صرح الحياة الانسانية المثلى، ويقيم دعائم المدنية والحضارة على أساس رائع عظيم؛ من الفطرة والعقل وهداية السماء.

فه[illegible]يات، وإن تضمنت فى عمومها بيان جزاء الصادين عن دين الله الذين [illegible]لون ويضلون ويلوون رؤوسهم عناداً واستكباراً، فى الدنيا والآخرة؛ كما تضمنت التحذير من الجدل والمناظرة فى العقيدة بالهوى والقياس لأن فى ذلك الضلال والابتداع، والتحذير من التقليد الأعمى المرذول، وتعطيل حكم العقل بالسير على منهج الآباء والأجداد فى كل شىء حتى فيما يؤدى إلى الضلال والبهتان والشرك، ومع أنها تضمنت كذلك نفى الظلم عن الله وبيان أن الانسان هو الذى يجنى على نفسه بعناده واستكباره ومشايعته للباطل ... فهى كذلك تقرر أصول المعرفة الثلاثة: العلم الفطرى المركوز فى طباع الناس كافة الذى يرشد إلى الخير والفضائل والتوحيد والايمان، والعلم النظرى المستفاد من الحجة والاستدلال والبرهان والبحث والتجربة، والعلم الالهى المستفاد من الوحى والكتب السماوية المنزلة على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . . . وتبين الآيات أن المعرفة لا يمكن اقتباسها من غير هذه المناهج الثلاثة، وأن جميع طرق المعرفة توصل إلى الايمان والتوحيد ومعرفة الله.

فليس اتباع الوهم والخيال والأساطير ونزغات الهوى والشيطان، مما يرشد إلى معرفة أو حق. وليس كذلك التقليد ومحاكاة الناس واتباع مناهج الآباء والأجداد دون تحكيم المنطق والعقل والتفكير، مما يوصل إلى نتيجة يطمئن إليها العقل والقلب جميعا . . وليس هناك شىء ما يقود إلى حظيرة

(البقية على صفحة ١٧)

هدى الرسول

قداسة الامة بنصرة الحق

« لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع » .

حديث شريف

يعد الاجتماعيون التقدميون هذا الحديث ثورة على النظم الاجتماعية التى كانت قائمة قبل مبعث نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام فقد كانت نظم الحياة يومئذ أشبه بما يسميه علماء الدستور ، نظام الاريستقراطية . فالسيادة حينذاك لطبقة الاشراف رغم النظام القبلى الداخلى الخاضع فى سيادته الخارجية لدولتى الفرس والرومان . فجاءت صيحة محمد صلى الله عليه وسلم بالوحدانية إنذارا بالقضاء على تأليه الخلائق ، ليست الاصنام فحسب بل والملوك وأشباه الملوك من الاشراف وزعماء القبائل . ولم يكن الإنذار موجها إلى أم القرى وحدها أو العرب وحدهم ، بل إلى البشرية كافة ولم يدع أحداً يفكر فى ماهية الداعية الجديد ، أهو ملك متوج أو أمير مسيطر أو ملك مقرب أو زعيم مهيمن ؟ فقال لهم : (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) .

كان الحكم فى جزيرة العرب يعتمد على النظام الأريستقراطى كما أسلفنا فلم تكن هذه الأمة مقدسة عند الله ولا عند الدول المسيطرة على شئون العالم ؛ فأبرهة الحبشى لم تمنعه شجاعة العرب أن يذل كبرياءهم فيأمرهم فى عام الفيل أن يجلوا عن ديارهم ليهدم الكعبة يوم جاء جيشه يمتطى متون الفيلة فروع العرب ذلك المنظر الذى لم يألفوه ، ولم يمنع هؤلاء الغزاة سيوف العرب

الشجعان ولا قسيهم ولا نبالهم ولا رماحهم . . . وكان لسان حالهم للبيت الحرام يحكى قول الجبناء من أتباع موسى عليه السلام الذين قالوا له : (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) وكأن عبد المطلب أحس من العرب أنهم لا قبل لهم بصد أصحاب الفيل فقال كلمته المأثورة (أما البيت فله رب يحميه) وكأنه كان بثقته بقداسة البيت يقرأ من اللوح المحفوظ مصير البيت ومصير المعتدين . وفى معرض التقريع لهؤلاء الذين يرفضون دعوة الحق والامتنان عليهم يقول الله عز وجل بعد أن قص ما فعله بأصحاب الفيل (لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) .

كان هذا الحادث عيدا لحرية قريش الخارجية فى تجارتهم ورحلاتهم إلى الشام واليمن، كما كانت بعثة محمد عيدا لحرية العرب الداخلية والخارجية بما أفاء الله على رسوله من نصر وفتح فقد علت كلمة الحق فلم يعد لطبقة الأشراف أريستقراطية ولا لفرد دكتاتورية أو أوتقراطية ولقد شكا المستضعفون من المسلمين إيذاء المشركين لهم واضطهادهم فى بدء الدعوة وقالوا يا رسول الله : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا ؟ فأمرهم بالصبر وقال (والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) وأتم الله أمر الإسلام فكفلت للناس الحريات : حرية الدعوة ، وحرية الفرد ، وحرية الجماعة ، وحرية الأمة ، فلم يعد أحد مستعبداً لأحد حتى قال نبى الاسلام فى حق الخدم (اخوانكم خولكم) أى خدامكم اخوانكم وقال لأبى مسعود حين ضرب غلامه (اعلم أبا مسعود أن الله أقدر منك على هذا الغلام) وجعل كفارة ضرب الغلام عتقه وقال لمن عير آخر بقوله يا بن السوداء (انك أمرؤ فيك جاهلية) وقال لأسامة ابن زيد حين كلمه فى المرأة التى سرقت ليعفو عنها (أتشفع فى حد من حدود الله ؟ إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق

فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك فمكن لأحد أفراد المسلمين أن يقتص منه وهو رئيس الدولة فلم يدفع طلبه بحصانة ضد القانون العام الذى ينادى بأن الناس أمام العدالة سواء بذلك أصبحت الأمة الاسلامية أمة مقدسة لها مهابتها وجلالتها . وقصة الأعرابى الذى جاء يتقاضى الرسول صلى الله عليه وسلم دينا له أشهر من أن تساق فى معرض التدليل على إنصاف الرسول من نفسه وإنما تساق لابراز معنى من المعانى السامية هو الاحسان إلى المسىء فقد تجاوز الأعرابى الحد فى المطالبة بحقه فكان مقابل ذلك أن أمر رسول الله ﷺ بقضاء دينه بأحسن منه وقال (خيركم أحسنكم قضاء) فهل فى دنيا الناس منذ عرف المعروف أو الاحسان إلى المسىء أكرم من هذا المثال المثالى ؟

وقول الرسول ﷺ فى الحديث (ولا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع) مرتب على صدر الحديث فإذا قضى فى الأمة بالحق أخذ الضعيف حقه من القوى فى يسر وسهولة : لا يجد القاضى ولا المتقاضى ولا الشهود ولا المهيمنون على تنفيذ الأحكام حرجا فى تطبيق العدل أو المطالبة به أو نصرته أو إيصال الحق إلى صاحبه . وعلى هذا المنهج سار أبو بكر وسار عمر فقد خطب كلاهما عقب توليته الخلافة فأكد هذا المبدأ الذى نادى به نبي الاسلام فى هذا الحديث .

وليس للحرية معنى إلا هذا المعنى الذى أعلنه هذا الدستور القويم فالحرية الصحيحة أخذ الحق وأداء الواجب وليس الحق أو الواجب مقصوراً على ناحية المال بل هناك حق اجتماعى يؤخذ ، وواجب اجتماعى يؤدى فمن حقك أن تستمع إلى المذياع ، ومن حق جارك أن يستمتع بالهدوء أو النوم فلا تطلق للمذياع العنان فيصدع أو يؤرق جارك فليست هذه حرية بل هى الفوضى . ومن حقك إذا ركبت القطار أن تجلس إذا وجدت مكانا فلا تحاول أن تجلس إلى جانب

ثلاثة فى مقعد لا يسع إلا ثلاثة . وإذا كنت جالساً فى مقعد لثلاثة وبجانبك آخر فلا تحاول أن تمنع ثالثاً من الجلوس إلى جواركما فيفرج كل منكما رجليه ليملأ نصف المكان فلا يجد الثالث مكاناً . ومن حقك إذا كنت طالباً أن تجد من معلمك عناية بشرح الدرس ، ومن حق المعلم عليك أن يجد منك اصغاء وانتباهاً وأدباً واقبالا أما العبث والتمرد والتشويش باسم الحرية فجديرة أن تسمى الفوضى . ومن حق العامل أو الموظف يتقاضى أجراً مكافئاً على عمله، ومن الواجب عليه أنه يحسن العمل ليستحق الأجر أما الاستهانة بالعمل وعدم المبالاة بانجازه أو رعاية حق صاحب المال أو حق الدولة أو الشعب فتلك هى الفوضى . وكثيراً ما تلتبس الحرية بالفوضى ، كما يلتبس الحياء بالاستخذاء والكبر بالعزة والتواضع بالذلة والشجاعة بالتهور والسخاء بالاسراف والبخل بالاقتصاد وذلك نتيجة لالتباس الفضائل بالرذائل لقصور الناس عن فهم مقاييس الأمور أو تطبيقها تطبيقا صحيحا واضح المعالم واضح الحدود وخير الناس من لا يقع فى الإفراط أو التفريط بل يكون بين ذلك قواما .

قال تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » ، وقال جل شأنه « والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » ويرى بعض الناس أن من حقهم أن يأكلوا ويشربوا ماشاءت لهم شهواتهم غافلين عن قول الله تعالى « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين » .

هدانا الله لنصرة الحق والخضوع لسلطانه .

جاد المولى سليمان

مفتش المساجد العام

ليس من الإسلام :

البـدع فى العبادات والعادات

العبادات التى كلفنا بهـا أمور جاءنا العلم بها من قبل الشارع وحده . فلو لم ينزل بها وحى ما اهتـدينا إليها و لا قمنا بها على هـذا النحو الرتيب المبين الذى فصله الشارع . .

فالصلوات الخمس ، وأعداد ركعاتها ، وأوقات إقامتها ، وهيئات أدائهـا ، تلك كلها أمور انفرد الدين بتشريعها . وهى وسائر المتعبدات الأخرى لا مدخل للعقل فى افتراضها هكذا كما أو كيفا ، وقد ندرك وجه الحكمة فى كثير من الطاعات المطلوبة ، أو نتعرف النتائج الحسنة لفعلها كما أمر الله ، إلا أن ذلك لا يعنى استقلال العقل بالحكم والنظر فى الأمور العبادية جملة وتفصيلا . بل مرد ذلك إلى النقل المجرد عن عالم الغيب والشهادة . . . أما الشئون العادية فلها وضع آخر فى الحياة ، إذ للعقل والتجربة مجالات واسعة فيهـــا ، إنها موجودة قبل مجىء الدين وقد تسير بعيدة عن هديه ، وقد تلزم الحدود والآداب التى يسنها لها ويوصى المؤمنين بالتزامها . .

المسلم والكافر يأكلون ويشربون ويتناكحون ، ويتعا[illegible] البيع والشراء والاجارة ، ويضعون نظما شتى لحراسة الأمن وتنظيم العمران ، وسياسة الدولة ... الخ .

وأمثال هذه الشئون العادية وإن خالفت العبادية المحضة فى أصل التشريع

إلا أن الله لم يدع الناس يخبطون فيها حسبما يمليه الرأى أو الهوى . بل أنزل آيات كثيرة لإرشادنا فى هذه الأمور العادية إلى ما يصون المصالح ويمنع الأضرار .

والإسلام نفسه دين شامل لنواح عديدة . فكل ما يدع أثراً ذا بال فى زكاة النفس وسلامة المجتمع ، فقد تعرض له ونصح فيه ، وأرصد له طائفة من النصوص والقواعد .

ولو أن دائرة الدين وقفت عند مراسيم العبادات التى لا اجتهاد للعقل بإزائها وتركت الإنسان بعدئذ حراً فى التشريع لشئونه العادية ، لكان الدين طريقا مبتسراً إلى الكمال، قاصراً فى تحصين الأفراد والجماعات من غوائل الحيف والخبط والعدوان .

إن الفضائل الجليلة لا تكونها المحاريب قدر ما تكونها المعاملات الدقيقة والتقاليد السامية .

فلا غرو إذا استن الاسلام للشئون العادية قوانين شتى ، وجعل إنفاذها من تقوى القلوب ، مثل انفاذ أوامره بالركوع والسجود .

ونحن نجد فى كتاب الله وسنة رسوله آلاف النصوص المنظمة لهذه الشئون العادية لا يجرؤ أحد على الغض من قيمتها كقسيم للشئون العبادية التى جاءت بتعاليمها نصوص أخرى .

خذ مثلا الزواج . فهو من الشئون العادية التى يباشرها الناس على اختلاف نحلهم . لكن الإسلام شرع له قوانين خاصة لا يصح ديناً إلا بها ، فلا بد من إيجاب وقبول ومهر وشهود ، ولا تنكح امرأة فى عدتها ، ولا تنكح مطلقها ثلاثاً ، ولا يجوز لمسلمة أن تنكح من يخالفها دينا ، وإن صح للمسلم أن يتزوج اليهوديات والنصرانيات ...

وهناك محارم لا يصح نكاحهن بتة ، وللاتصال الجنسى آداب فصلها الاسلام فى المعاشرة الزوجية لا يجوز إهمالها ..

والبيع مثلا من العاديات التى يشتغل أهل الأرض طرا بها لكن الاسلام وضع للمبايعات شروطا وخلالا ، لا يخرج المسلم عنها . فلا بد من أهلية المتعاقدين للتصرف . وكون المبيع طاهرا منتفعا به ، مملوكا للبائع مقدور التسليم وهناك تعاليم لمنع الغرر والاحتكار والربا والغش ، ترسم للتجارة الاسلامية سبيلا نظيفة عادلة ..

والناس بطبيعتهم يأكلون ويشربون ويكتسون . وقد جاء الاسلام إلى هذه الأمور العادية فحرم ألوانا خاصة من الطعام والشراب واللباس ، وكرر القرآن الكريم ما حرمه من الأطعمة عدة مرات وحاج فيها المشركين وأهل الكتاب الأولين ...

وأطول آية فى القرآن ، أنزلها الله فى الدين وكتابته والإشهاد عليه .

وقد اعتمد الأئمة فى التشريع والتفريع لهذه الأمور العادية على النصوص الواردة ، والقواعد العامة باعتبار أن صيانة المصلحة هى الغاية منها فى الجملة .

وربما اتفق النظر المجرد مع الشرع الكريم فى كثير من أحكام المعاملات الشائعة . وقد رأيت نصوصا فى القانون المدنى القديم عدلت فى القانون الجديد إلى ما رآه الواضعون أدنى إلى المصلحة . فلاحظت أن المواد القديمة كانت توافق مذهب أحد الفقهاء المجتهدين ، وأن الجديدة كانت توافق مذهب مجتهد آخر ...

وليس هناك من فارق إلا أن الفقهاء المسلمين كانوا بدوافع من إيمانهم بالله وابتغائهم لرضاه ، وفقههم فى شريعته ، وتحريهم نفع الناس بها ـ كانوا يحكمون هذه الشئون العادية ويوجهونها وفق تعاليم الاسلام . أما رجال القانون العام

فإرضاء الله واحترام دينه ليسا فى حسابهم ..

فمزج العاديات بمعنى التدين جزء من طبيعة ديننا كما رأيت . فهل يدخل الابتداع فى العاديات كما يدخل فى العباديات ؟

قال الشاطبي ما معناه « ثبت فى الأصول الشرعية أنه لا بد فى كل عادى من شائبة التعبد . لأن ما لم يعقل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهى عنه فهو المراد بالتعبدى .

وما عقل معناه ، وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادى . فالطهارات والصلوات ، والصيام والحج ، كلها تعبديات . والبيع والنكاح والشراء والطلاق والاجارات والجنايات كلها عاديات لأن أحكامها معقولة المعنى . ولا بد فيها من التعبد . إذ هى مقيدة بأمور شرعية ، لا خيرة للمكلف فيها سواء أكانت اقتضاء أم تخييرا . فان التخيير فى التعبدات إلزام كما أن الاقتضاء إلزام ، حسبما تقرر برهانه فى كتاب « الموافقات » .

وإذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين فى معنى التعبد . فان جاء الابتداع فى الأمور العادية من ذلك الوجه صح دخوله فى العاديات كالعبادات . وإلا فلا ... وهذه النكتة التى يدور عليها حكم الباب ... »

أى ان لشئون الحياة المعتادة ناحيتين :

أولاهما : متجددة منطلقة تخضع للتطور والتغيير . وهذه لا يضع الاسلام لها قيوداً ولا يبالى فيها باتباع أو ابتداع . بل يصح أن يساق فيها النص المحفوظ « أنتم أعلم بشئون دنياكم » .

وهذه الناحية ليست موضع بحثنا . وقصارى ما نوصى به أن يقبل المسلم عليها وهو حاضر القلب حسن النية . فان الرجل إذا كان صاحب مثل أعلى

استفاد من كل شيء فى تحقيق غايته . ولو أن المسلم أراد بأي عمل يعالجه مرضاة الله لتحول كل شيء فى يديه إلى عبادة ، ولكان طعامه ومنامه وملاعبته زوجته عبادة ، فضلا عن قيامه بأعباء وظيفته إن كان موظفاً ، وأعمال تجارته وزراعته إن كان تاجراً أو فلاحا ، فان هذه الشئون العادية البحتة يحيلها القصد النبيل إلى خلال بر ، وخصال خير كأنما هى صلاة وجهاد .

ذلك مع بقائها فى جوهرها حرة من القيود لا تضبطها وسيلة معينة ولا صورة محدودة ، بل ينقلها الاختراع والاجادة من حسن إلى أحسن . . .

أما أخراهما : فما يرسمه الشارع من حدود تضيق أو تتسع حسبما يراه أدنى إلى الصالح العام . فان هذه الناحية النقلية يجب ألا نخالفها بمعصية وألا نفسدها بابتداع . والدين لم يتدخل فى المعاملات المعتادة ، تجارية كانت أو اجتماعية أو جنائية أو سياسية ، لإعنات الناس ، بل إن القدر الذى تدخل به هو لرفع العنت وسد مسالك الشيطان وحماية الجمهور من ميوعة التشريع الوضعى ، وخضوعه فى أحيان كثيرة للنزوات الخاصة .

وقد تقول : فما موضع الابتداع والحالة هذه ؟ إن الناس يتزيدون فى العبادات وصورها الواردة مبالغة منهم فى التقرب إلى الله — على مايزعمون — فكيف يبتدعون فى الشئون العادية ودور الشارع فيها تنظيم أمور مدنية بحتة ؟

والجواب أن الناس قد يبرزون بعض المصالح الخاصة وكأنها توصيات الهية ، ويجعلون من الاعانة فيها عبادة لله ، حتى يضمنوا بقاءها باسم الله إذا لم يمكن ابقاؤها باسم المصلحة ...

خذ مثلا النظام الملكى فى أمة من الأمم ، إن حرص الملوك على بقائه يحملهم على حياطته باسم الله ورسوله ، ومن ثم تورث قيادة الأمة كما تورث التركات ، وتؤخذ لذلك بيعة تعتبر المسارعة فيها قربى إلى الله ، والنكوص عنها هدما

للإسلام . ووراثة المناصب لا يقول بها دين ، فكيف تكون قانوناً من قوانينه؟ هذا مثل للابتداع المحرم فى الشئون العادية كما قرره العلماء .

وكذلك فرض الضرائب وإنفاق حصيلتها فى الأهواء الفردية بعد جمعها من الجمهور باعتبارها طاعة لله ورسوله وأولى الأمر .

إن التخييل على العامة بأن ذلك دين يؤخذون به كما يؤخذون بالتكاليف الشرعية الأخرى هو الأساس فى تسميته بدعة . فاذا سألت : ماذا يسمى لو لم يقع هذا التخييل الخادع ؟ قلنا : ينظر إليه على ضوء ماثبت من النصوص وتمهد من القواعد . فان خالفها فهو معصية وإلا فهو من الشئون العادية المتجددة التى لا دخل للدين فيها . وحينئذ نستطيع القول بأن فرض الضرائب للأهواء الخاصة ، لون من السرقة أو الغصب ، وفرضها لمصلحة الجمهور لاشىء فيه . ونستطيع أن نقول كذلك : إنه لو حلا لأمة أن تقيم نظام حكمها على أساس ملكى — كما فى انجلترا — بحيث تكون المصلحة المجردة هى المهيمنة عليه ، فلا يعتبر مؤيده طائعا لله ولاجاحده عاصيا لله ، كان ذلك من قبيل الشئون العادية التى لا يعترضها الاسلام .

قال الأستاذ العدوى : « ويشبه ذلك - الابتداع فى العادات — زخرفة المساجد بألوان تفرق قلوب المصلين ، وأبسطة فيها من أنواع النقش ما يشغل المصلى . وكذا تعليق الثريات الباهظة الأثمان إذ أن كثيراً من الناس يعتقد أنها من قبيل ترفيع بيوت الله ، حتى يعد الانماق فى ذلك إنفاقا فى سبيل الله تعالى فانها بهذا الاعتبار تصير بدعا مذمومة . وأما تنظيم المساجد بتشييد بنائها ورفعه رفعا مناسبا ، وتنظيف جدرانها وتلوينها بلون لا يحول بين المصلى وربه . وفرشها بالفرش التى لا تعدو حد الاقتصاد والتوسط ، فهذا ليس من محل الخلاف . وإنما هو عمارة للمساجد ينفق فيه من آمن بالله واليوم الآخر » .

وجمله القول أن الابتداع إن دخل فى الأمور العادية . فانما يدخلها من جهة ما فيها من معنى التعبد . فرجع الأمر إلى أن الابتداع المذموم لا يكون فى العادى المحض . ومن ذلك تعرف حكم الابتداع فى الشرب والأكل والمشى والنوم ، فهذه كلها أمور عادية . وقد دخلها التعبد وقيدها الشارع بأمور لا مناص منها ، كنهى اللابس عن إطالة الثوب عجبا ، والأمر بالتسمية عند الأكل والشرب ، والنهى عن الاسراف فيهما ، والنهى عن نوم الانسان عارياً على سطح ... الخ .

فالأمور المذكورة عادية . وإن دخلها الابتداع فلا يدخلها من جهة أنها عادية ، وإنما يدخلها من الجهة التى قررها الشارع فيها . فاذا خولف بها الوجه المشروع واعتبر ذلك دينا يتقرب به إلى الله تعالى . كانت بدعاً من هذه الجهة بل هى معصية وابتـــداع معصية لمخالفتها رسم الشارع ؛ وابتداع للتعبد بهذه المخالفة ...

محمد الغزالى

(بقية مقال مناهج المعرفة فى القرآن الكريم المنشور على صفحة ٦)

الحقيقة المقدسة سوى هذه المناهج الثلاثة ، التى تؤدى إلى الخير والهدى والفلاح والفوز فى الدنيا والآخرة .

والفطرة الإنسانية فى البشر تدعو دائماً إلى الإيمان ، وإلى الاعتقاد بالله وبالرسالات ، وهى شاهد صدق على ضلال الماديين والدهريين والالحاديين وغيرهم من فرق الضلال .

والعقل السليم يؤدى دائماً إلى الاعتقاد بأن مسخر السموات والأرض وما فيهما إنما هو إله عظيم قادر على كل شىء يستحق دون سواه العبادة ، ولا شريك له فى الكون . وهو يرشد بمعونة الوحى إلى ما غمض فهمه من أمور الغيب والآخرة .

ويطول بنا الحديث لو حاولنا أن نشرح هذه الحقائق الأزلية الخالدة التى دعا إليها القرآن الكريم ، وأثرها على الحياة والانسانية والحضارة ، فلنقف عند هذا الحد ، تاركين للعقل المجال ليحكم ويفهم ويبحث ، والله ولى التوفيق .

محمد عبد المنعم خفاجى المدرس فى كلية اللغة العربية

أحكام مختصرة في الأضحية

١ - مشروعيتها :

أجمع المسلمون على أن الأضحية مشروعة ، وقد ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين (١) أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما رواه البخاري ومسلم :

٢ - حكمها :

ذهب جمهور العلماء إلى أن الأضحية سنة وليست واجبة، ولا ينبغي لمن قدر على ثمنها أن يتركها وقال أبو حنيفة : إنها واجبة .

٣ - ما يجزىء فيها ومالا يجزىء :

لا يجزىء فيها إلا الإبل والبقر والغنم ، والذكر والأنثى سواء ، واتفق العلماء على أنه لا يجزىء منها العرجاء البين عرجها ، والعوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها ، والعجفاء التي لاشحم لها لما رواه مالك عن البراء ابن عازب أن رسول الله ﷺ سئل : ماذا يتقى من الضحايا ؟ فأشار بيده وقال : « أربع : العرجاء البين ضلعها ، والعوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها والعجفاء التي لا تنقى .

واتفقوا على أنه لا يجوز من الإبل والبقر والمعز دون الثني : والثني من الإبل ما استكمل خمس سنين . ومن البقر والمعز ما استكمل سنتين وطعن في الثالثة .

ويجزىء الجذع من الضأن وهو ما استكمل ستة أشهر ، ولا يجزىء مادونه

---

(١) الأملح : الذي فيه بياض وسواد وبياضه أكثر وقيل : النقي البياض .

قال رسول الله : « لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن » ولا بأس بالخصى .

٤ ـ اشتراك أكثر من واحد فى الأضحية :

يجوز أن يشترك واحد أو أكثر إلى سبعة فى بعير أو بقرة ؛ قال جابر : نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة .

وذهبت الحنابلة إلى أنه لا يشترط فى المشتركين أن يكونوا جميعاً قاصدين القربة بل لو قصد بعضهم القربة وقصد بعضهم اللحم جاز .

وتجزىء الشاة الواحدة عن واحد وإن كان له أهل بيت حصلت السنة لجميعهم . وكذا يقال فى كل واحد من السبعة المشتركين فى البدنة والبقرة لأن التضحية سنة كفاية لكل أهل بيت ، وسنة عين لمن لا بيت له خلافا للأحناف .

والأفضل أن تكون سمينة لما رواه البخارى ، لحديث أبى أمامة بن سهل « كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون » .

وينبغى أن تذبح فى المصلى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وإظهاراً لشعائر الدين .

٥ ـ وقتهـــا :

ووقتها بعد صلاة عيد النحر إلى آخر أيام التشريق .

(١) روى البخارى ومسلم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من كان ذبح قبل الصلاة فليعد » .

(٢) وسأل أبو بردة بن نيار رســـول الله صلى الله عليه وسلم عن شاة ذبحها يوم العيد فقال : « أقبل الصلاة ؟ قال : نعم . قال : تلك شاة لحم »

(٣) وذبح عويمر بن أشقر ضحية قبل أن يغدو يوم الأضحى وأنه ذكر ذلك لرسول الله فأمره أن يعود بضحية أخرى .

(٤) وعن على بن أبي طالب وعبد الله بن عمر أن الأضحى يومان بعد يوم الأضحى وعليه الحنفية، ومذهب الشافعية أنه يمتد وقت الأضحية إلى غروب الشمس من آخر أيام التشريق لحديث الحاكم.

٦ — المضحى لا يأخذ من شعره ولا ظفره :

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذ شيء من الشعر أو الاظفار لمن يريد أن يضحى ابتداء من هلال ذى الحجة حتى يذبح أضحيته ، روى مسلم أنه صلوات الله وسلامه عليه قال : « من كل له ذبح يذبحه فإذا أهل هلال ذى الحجة فلا يأخذ من شعره وأظفاره حتى يضحى » .

وقال أبو حنيفة : لا يكره أخذ شيء من ذلك ، ويستحب عند الشافعى لمن أراد التضحية أن لا يمس شعره وظفره فى العشر ، فإذا ضحى حلق رأسه وأخذ من أظفاره وشواربه .

٧ — الأكل من الأضحية والتصدق والادخار :

روى البخارى ومسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كلوا وادخروا وتصدقوا » . وروى مالك عن عبد الله السلمى أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاثة أيام ثم قال بعد ذلك : « كلوا وتزودوا وادخروا ».

السيد سابق وكيل المساجد

أعلام الإسلام

عمار بن ياسر

١ — نسبه

قدم مكة في الزمن القديم ثلاثة إخوة من عرب اليمن ، هم ياسر ومالك والحارث ، أبناء عامر بن مالك العنسي . وكانوا قد خرجوا من ديارهم ليبحثوا عن أخ لهم رابع فقدوه فلم يعثروا له على أثر ، وأحس أحدهم وهو ياسر أن مكة بلدة طيبة آمنة ، فأنس بها وعزم على الإقامة فيها ، وأخبر أخويه بما عزم عليه فتركاه وعادا إلى اليمن . .

واتصل ياسر بأبي حذيفة بن المغيرة أحد رؤساء بني مخزوم ، ونشأت بينهما صلة حسنة ، وتحالفا فيما بينهما على أن يقوم أبو حذيفة بحماية ياسر مما يحمي منه نفسه وأهله ، وأن يكون ياسر لأبي حذيفة على مودة صادقة يحارب من يحارب ، ويسالم من يسالم ، . . ومن هذا اليوم صار ياسر بن عامر العنسي يعرف بأنه حليف بني مخزوم .

٢ — الأسرة الموفقة

وكان لأبي حذيقة أمة سوداء اسمها سمية وديعة النفس ، طيبة القلب ، حسنة الخلق ، فتزوجها ياسر ، وعاشا معا ، وولد لها أولاد منهم : عمار بن ياسر .

ومضى على ذلك الزواج دهر طويل يقرب من خمسة وأربعين عاما ، كبر خلالها ياسر وجاوز الستين . ومات حليفه أبو حذيفة المخزومي ، وكبرت سمية وظهرت عليها علامات الشيخوخة ، وكبر عمار وجاوز الأربعين من عمره

وظهرت حينئذ فى مكة دعوة جديدة مشرقة ، تدعوا إلى تحرير العقل من عبادة أصنام لاتملك لنفسها ولا لغيرها نفعا ولا ضرا ، وتدعو إلى عبادة الله وحده وتدعو إلى تحرير المجتمع من الظلم والتعاظم بالأموال والآباء والأجداد ، إلى نظام تسوده العدالة والمساواة والتعاون على البر والتقوى... وكان الداعى بهذه الدعوة الجميلة القوية رجل من قريش يعرفه عمار وأسرته ، هو محمد بن عبد الله ابن عبدالمطلب ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى عرف لدى أهل مكة جميعا بأنه الصادق الأمين ...

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا بدعوته يدعو إليها سرا ، خوفا من رؤساء قريش الذين كانوا يعيشون على ظلم الضعفاء والتفاخر بالأموال والأنساب فأخذ عمار يبحث عنه ليسأله عن دعوته حتى عرف أنه فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم ؛ فذهب إليها فاذا على بابها صديقه صهيب بن سنان . فسأله عمار : ماذا تريد ؟ . . فقال صهيب : وماذا تريد أنت ؟ قال عمار : أريد أن أدخل على محمد وأعرف دينه الذى يدعو إليه . . فقال صهيب وأنا أريد ذلك ، فدخلا على النبى صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليهما دعوته فآمنا به . . وعاد عمار إلى أبيه وأمه فدعاهما إلى الإسلام ورغبهما فيه فأسلما ... وبذلك كان عمار وأبواه من السابقين الأولين إلى الإسلام . لأنهم أسلموا قبل أن يدخل فيه ناس كثيرون ، وفى هذا يقول عمار رضى الله عنه : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر » ويقول آخر . « أول من أظهر اسلامه سبعة : رسول الله ، وأبو بكر ، وعمار وأمه سمية . وصهيب وبلال وخباب بن الأرت »

٣ — العذاب فى سبيل العقيدة

وعلم بنو مخزوم بالخبر ، فغضبوا على ياسر وزوجته سمية ، وابنهما عمار ، وأخذوا يهينونهم ، ويؤذونهم . ويعذبونهم لكى يكفروا بالله وبما يدعو إليه محمد...فكانوا

يلبسونهم دروع الحديد ويخرجونهم إلى الصحراء بظاهر مكة ؛ فإذا أقبلت الظهيرة إشتد بهم حر الشمس ، وحميت على أبدانهم دروع الحديد كأنها مكاوى النار ، فيتألمون أشد الألم ، ولا يجدون من يدفع عنهم الأذى لأنهم ضعفاء غرباء ليست لهم قبيلة قوية تحميهم ... وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهم وهم يعذبون على هذه الحال تألم لهم وقال « صبرا آل ياسر ، إن موعدكم الجنة » ..

وجاءهم يوما رجل جبار من بنى مخزوم ، إسمه أبو جهل ؛ فأخذ يضربهم ، ويشتمهم ، ويطلب إليهم أن يرجعوا عن دين محمد ، فأغلظت له سمية القول ، وردت عليه أشنع الرد . فاغتاظ وهاج وطعنها بحربة كانت معه طعنة قاتلة « فسقطت تضطرب فى دمائها وما لبثت أن فاضت روحها الطاهرة إلى بارئها .. . فكانت أول شهيد فى الإسلام ..

٤ — عمار مجاهد وفى لدعوته

عاش عمار بن ياسر عمره كله وفيا لدعوته مؤمنا بها أشد الإيمان . مسارعا إلى ما فيه خيرها وعزها .

(ا) دعا داعى الهجرة من مكة إلى المدينة ، فكان له فضل السبق إليها ؛ إذ لم يهاجر قبله سوى مصعب بن عمير . ثم توالى من بعده سائر المهاجرين .

(ب) شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة غزوات ، مثل غزوة بدر ، وأحد ؛ والخندق . وكان فى كل منها بطلا شجاعا ثابت الجنان .

(ح) وفى غزوة أحد لما هزم المسلمون وقتل حمزة عم النبى ﷺ جاء رجل من المشركين اسمه معاوية بن المغيرة ، وأخذ يمزق جثة حمزة بسيفه فغضب عمار ، وخرج مع زيد بن حارثة ، ليدركا الرجل الذى مثل بجثة حمزة

وكانت الأخبار جاءت بأن المشركين قد جمعوا جموعهم وعادوا إلى المدينة مرة أخرى يريدون حرب النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم يعبأ عمار بالخبر ومضى مع صاحبه حتى أدركا الرجل، فقتلاه.

(د) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف له شجاعته، ويندبه لمهمات الأمور في الحرب. كلفه – ليلة غزوة بدر – أن يطوف سرا بجيش الأعداء ليعرف خبره وسره وهي مهمة خطيرة، لا يؤتمن عليها إلا من كان في مثل إيمان عمار وشجاعته، فمضى عمار ومعه عبد الله بن مسعود، وعاد يخبر الرسول أن القوم في حالة رعب شديد، وخلاف خطير، وأن السماء ترسل عليهم مطرا غزيرا يزيدهم سوءا على سوء.... وفي غزوة بني المصطلق أعطاه لواء المهاجرين وكان لواء الحرب لا يحمله إلا أهل الثبات والشجاعة والكفاية في القتال.

(ه) وخرج عمار رضي عنه في جيش إلى اليمامة ليحارب مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة، وزعم أنه رسول الله، فرأى بعض المسلمين يوما ينكشفون في القتال ويفرون طلبا للنجاة، فانبرى يشجعهم ويثبتهم . . . قال عبد الله بن عمر «رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة قد أشرف، يصيح. يامعشر المسلمين !! أمن الجنة تفرون ؟! إلى إلى . . أنا عمار بن ياسر ! هلموا إلى . . كل ذلك وأذنه قد قطعت، فهي تهتز وتتذبذب»

وتلك كما ترى شجاعة مؤسسة على الإيمان بالله، والشوق إلى نعيم الجنة، وهذا هو سر شجاعة عمار فأنه لم يخرج إلى حرب ما إلا وهو ينظر إلى وجه الله ونعيم الجنة، ومن كانت شجاعته كذلك، لا يضعف أبدا، ولا يفر من عدوه، وكيف يفر وهو يعتقد أن الجنة أمامه ؟ ويشهد له بذلك عبد الله بن عمر إذ يقول: «ما أعرف أحدا خرج يبتغي وجه الله والدار الآخرة إلا عمار بن ياسر». ولا عجب بعد ذلك إذا كانت الجنة تشتاق إلى عمار كما يشتاق هو إليها. وفي

هذا المعنى يقول النبي عليه السلام : « ان الجنة تشتاق إلى أربعة : إلى عمار ، وعلى وسلمان ، والمقداد »

٥ — منزلته من الإيمان والهداية الى الصواب

وأما منزلته من الإيمان فهى كما قال رسول صلى الله عليه وسلم : « ان عمارا ملىء ايمانا من قرنه الى قدمه »

ومن كان ذلك شأنه فأنه يتبع مرضاة الله فى كل قول وكل عمل ، ولا يطيع هوى نفسه ، وذلك من تمام الرشد والهداية الى سبيل الصواب ، ولهذا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاهتداء بقول عمار وفعله فقال : « اقتدوا بالذين من بعدى : أبى بكر وعمر ، واهتدوا بهدى عمار ... »

وكانت طريقته فى التفكير أو الموازنة بين أمرين هى أن ينظر الى أقرب الآراء من رضوان الله عز وجل ، فأن الصواب هو فى مرضاة الله دائما ، وقد ذكر لنا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ماخير عمار بين أمرين الا اختار أرشدهما »

واذا كان الانسان مع الله على هذه الحالة كان الله معه على مثلها : يغضب لغضبه ، ويرضى لرضاه . . وفى هذا يقول خالد بن الوليد : أغلظت القول مرة لعمار بن ياسر حتى أغضبته ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « من عادى عمارا عاداه الله ، ومن أبغض عمارا أبغضه الله » . . قال خالد فما كان شىء أحب الى من رضا عمار فلقيته وأرضيته فرضى . .

٦ — منزلته عند رسول الله

لكل هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب عمارا . وكان اذا دخل عليه يقول : « مرحبا بالطيب المطيب »

ولما كان الرسول يبنى مسجده بالمدينة، كان الصحابة يحملون اللبن - الطوب - بأنفسهم . وكانوا يحملون منه ما يطيقون . . أما عمار فأنهم كانوا يحملون عليه أكثر مما يحملون ، حتى تعب ، ووهنت قوته وسبغ الغبار على شعر رأسه فرآه النبي عليه السلام فرحمه ورق له وأقبل عليه ، وجعل يمسح رأسه بيده فى حنان ليزيل الغبار عنه . . فقال عمار : « يارسول الله ! قتلونى : يحملون على مالا يحملون » فقال عليه السلام . « ليسوا بالذين يقتلونك ؛ إنما تقتلك الفئة الباغية » واشتد رجل يوما على عمار بالقول ، فغضب النبي عليه السلام وقال : « مالهم ولعمار ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار . إن عمارا جلدة مابين عينى وأنفى . » أى أنه يحبه حبا شديداً . .

٧ — وفاته

وفى حرب صفين التى قامت بين سيدنا على وسيدنا معاوية سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، انضم عمار — وكان قد بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة — إلى جيش سيدنا على وانضم كثير من الصحابة الى على تبعا لعمار لأنهم يعلمون أن الرسول أوصى باتباع هديه .

وطلب عمار فى صبيحة يوم من أيام المعركة أن يشرب ، فأتوه بأناء فيه لبن فنظر اليه وابتسم وقال لمن حوله : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن » . . فشربها وهو يعلم أن قد حضر أجله ، وصار يقول : « واطرباه ! اليوم التقى الأحبة ، محمدا وحزبه » . ونزل المعركة فقاتل قتالا مشهودا ، وصفه بعضهم فقال « رأيت عمار بن ياسر يوم صفين لا يأخذ فى ناحية ولا وادمن أوديتها الا رأيت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يتبعونه كأنه علم لهم . وسمعته يومئذ يقول لهاشم بن عتبة - وهو ينهزم — ياهاشم ! اتفر من الجنة ؟ ! ان الجنة تحت البارقة(١) . اليوم التقى الأحبة محمدا وحزبه »

---

(١) السيوف

ومازال يقاتل حتى طعنه رجل من رجال معاوية برمحه فسقط على الأرض فنزل اليه رجل آخر واحتز رأسه فمضى الى ربه راضيا مرضيا .

وعلم الصحابة الذين مع معاوية، بمصرع عمار فأخذهم الوجوم والحزن الشديد لما يعلمون من قول الرسول عليه السلام لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » وقال عمرو بن العاص « وددت لو أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ! ! »

وجاء الرجلان اللذان قتلاه يختصمان فيه الى معاوية كل منهما يدعى أنه هو الذى قتله فقال لهما عبدالله بن عمرو بن العاص: « علام تختصمان أيها الرجلان انما تختصمان فى النار ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقتل عمارا الفئة الباغية ، وقاتله وسالبه فى النار »

رحم الله عمار بن ياسر . ونفع المؤمنين بسيرته الطيبة .

البهى الخولى

مصير الاقطاع فى التاريخ

روى جويريه عن إسماعيل بن أبى حكيم قال :

كنا عند عمر بن عبد العزيز فلما تفرقنا نادى مناديه . الصلاة جامعة ، فجئت المسجد فاذا عمر على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فان هؤلاء — يعنى بنى أمية قبله — قد كانوا أعطونا عطايا ما كان ينبغى لنا أن نأخذها منهم ، وما كان ينبغى لهم أن يعطوناها ، وإنى قد رأيت الآن أنه ليس على فى ذلك دون الله حسيب ، وقد بدأت بنفسى والأقربين من أهل بيتى. اقرأ يامزاحم، فجعل مزاحم يقرأ كتابا كتابا فيه الاقطاعات بالضياع والنواحى، ثم يأخذه عمر بيده فيقصه بالجلم ، لم يزل كذلك حتى نودى بالظهر.

الخطابة

القرآن دعوة الحق

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم . فيه تفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنعم على عباده بالبينات والهدى . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله . وصفيه من خلقه وحبيبه ، حمل بيده مشعل الحق والهداية فاهتدى به من ضل واستقام على طريقه من أعوج ، واستنار بنوره من أدلج فى ليل الحوادث وظلمات الجهالة .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين . أما بعد فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »

عباد الله المؤمنين : ـ من أعظم نعم الله على عباده أن هداهم للإيمان وشرح صدورهم للقرآن يعتصمون بهداه فيأخذ بأيديهم إلى مدراج الخير ومناهج السعادة .

والقرآن هو دستور الخالق لإصلاح الخلق . وقانون السماء لهداية الأرض أحكم الله فيه كل تشريع . وأودعه كل سعادة . وهو المعجزة الخالدة على مر الدهور يعمر القلوب بالقوة . ويغمر النفوس بالحياة . ويحيط الناس بسياج من الفضائل والآداب . ويصون الأرض ومن عليها من الفتن الماحقة والمذاهب الهدامة وسيظل نوره ساطعا وسلطانه باقيا حتى يبلغ الكتاب أجله . وحينئذ يصعد إلى مصدره الأزلى باهرا كما صدر عنه . مضيئا كما انبثق منه .

والعالم اليوم تتجيفه المكارة . وتتهدده المخاوف والأخطار فى الحرب والسلم

وفى الاجتماع والاقتصاد . وفى السياسة والنظام . وفى الروابط والعلاقات . وفى كل ناحية من هذه النواحى تجد للقرآن فيها حكما صائبا لا يجور . ورأيا ثاقبا لا يخطىء . ونورا ساطعا لا يغيب .

فلو أن الناس جعلوه منهاجا لشئونهم . وعلاجا لمشاكلهم لاستقر السلام فى الأرض . وشاع الوئام بين الناس وتفيئوا ظلال حياة هانئة كريمة لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب. لقد قدم القرآن للانسانية مزيجا صالحا من شئون الدنيا والآخرة لم تظفر به فى أى قانون آخر ذلك لأن هدايته امتازت بالكمال والوضوح والعموم . فأشبعت حاجات العقل والقلب والروح . وسايرت كل جيل وقبيل . ووفقت بين مصالح الدنيا والآخرة . ولقد نزل القرآن فأشرقت الأرض بنور ربها بعد ليل طويل من التناحر والانحلال والضلال . وارتفع مقام الانسانية . وتحرر عقل الإنسان ولبه فلم يعد يذل لأوثان . ولا ينخدع بكهان . ونجحت الجامعة الإسلامية بل الجامعة الإنسانية لأول مرة فى تاريخ البشرية فالناس متكافئون فى الحقوق والتبعات . متساوون فى المسئولية أمام الله ودينه . واتسع أفق الجد والطموح أمام المسلم فصار يعمل بهمة عالية ليكون خليفة الله فى الأرض وانتصفت المرأة من الرجل فلم تعد توأد ولا تورث ولا تباع ولا تشعر بفارق سوى ما تفرضه طبيعة الجنسين . وهذبت الحرب ووضعت على قواعد سليمة لخير الإنسان فلم تعد تشار للعدوان ولكن لدفع العدوان . واستقام ميزان الاقتصاد على قاعدة وجوب السعى إلى كسب الحلال والكف عن الحرام . وبذل المال فى وجوه البر وحمايته من التلف والتبذير والضياع . واستراح فى كنف القرآن الزوج وزوجه ، والوالد وولده ، والأخ وأخوه والجار وجاره ، والغنى والفقير والرئيس والمرؤوس ، والحاكم والمحكوم وكل فرد وكل أسرة وكل أمة ؛ لأن القرآن سن الحدود ووضع القوانين والنظم لحماية الحقوق ولضمان المودة والسلام والحب والوئام . بل وقد استراح

فى ظله كل كائن حى حتى العجماوات والحشرات ، لأن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة . وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته . وليرح ذبيحته ، ولقد دخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض : والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء .

عباد الله : القرآن هو هداية الله للعالمين فى كل عصر وحين ولا صلاح للعالم إلا بالقرآن فليتحرروا من أوضاع الغرب وعاداته وتقاليده . وليكونوا أعمق فهما للقرآن ورسالته ودعوته فالمشركون لم يفهموا القرآن إلا أنه دعوة انقلاب وتجديد . جاءت تهدم الباطل بالحق . والشرك بالتوحيد . والفوضى بالنظام والظلم بالعدل وتقيم للانسانية مبادىء الحرية والإخاء والمساواة والرحمة . ولذلك أعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . واقصدقوا ما الجن فقالوا (أأنزل عليه الذكر من بيننا — فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون)

ولو أن المشركين أدركوا القرآن كما أدركه الناس اليوم كتابا تفتتح به الحفلات ويترحم به على الأموات .. لما قعدوا له بكل صراط يوعدون ويصدون .. ولو أنهم فهموا من الرسول ﷺ أنه جاء به ليقرأوه ويحفظوه ويتطربوا به لما كان لديهم ما يمنع من قبوله ، وهم كانوا لا عمل لهم إلا رواية الاخبار ، وصياغة الأشعار ، وحفظ الخطب والمقالات .

عباد الله ، افهموا القرآن على أنه دعوة الحق تهديكم سبيل الرشاد ، وأقدروه حق قدره ، وعظموه بما يتناسب مع جلاله وعظمته . واستمعوا إليه فى خشوع وأنصتوا له فى تدبر . واعملوا بأحكامه ووصاياه فستجدونها العافية والشفاء . والنور والبرهان والضياء . وصدق الله العظيم القائل « الله نزل أحسن الحديث

(البقية على صفحة ٤٩)

(حكم الحج وأسراره)

الحمد لله أنزل فى كتابه المبين « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فرض علينا حج بيته الكريم ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خير من حج واعتمر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين استضاءوا بنور الإسلام فهدوا إلى صراط مستقيم .

أما بعد فيا عباد الله : —

لقد أخذت وفود الحجيج منذ أيام ، تشد الرحال لحج بيت الله الحرام ، والحج شعيرة من شعائر الإسلام ، وركن من أركانه ، ومؤتمر إسلامى عام ، شرعه الله تعالى . لتكون الأمم واحدة فى إنسانيتها ، فالانسانية الفاضلة واحدة لها لون واحد ، ووطن واحد ، هو الإسلام ، فالحج تحقيق للوحدة الإسلامية والاخوة الدينية ، حيث يجتمع المسلمون فيعملون على تجديد مارث من الصلات بين الشعوب وليشهدوا منافع لهم ، بهذا نطق الكتاب الكريم فقال عز من قائل « وأذن فى الناس بالحج إلى قوله : وليطوفوا بالبيت العتيق »

آية الآيات فى الأعجاز ، أطلق الله تعالى كلمة منافع ، ولم يقيدها لأنه سبق فى علمه جل شأنه ، أنه تجد للانسانية منافع مختلفة لم تكن معروفة فى القديم ، منها الإقتصادى والإجتماعى والسياسى ، ولاشك أن كل هذا منطو تحت قوله تعالى « ليشهدوا منافع لهم » وذكر الناس فى أول الآية ، ليبين أن هذه المنافع ، منافع للانسانية كلها ، لا لأمة من الامم بخصوصها ، وقدم مشاهدة المنافع على ذكر الله تعالى ، فكان نصا صريحا على أن الحج عمل إنسانى للانسانية ، قبل أن يكون عبادة ، فالعبادة أداء فريضة فردية ، ولكن شهود المنافع أداء فريضة اجتماعية ، يقوم عليها إصلاح الجماعات .

معشر المسلمين . — شرع فى الحج الاحرام وهو تغطية الجسم بثوبين غير

مخيطين ، لا فرق بين غنى وفقير ، لتحقيق المساواة بين الناس من أساسها الطبيعى لتظهر الانسانية ببساطتها وفطرتها وتسقط الدنيا بكاذب زخرفها وخادع زينتها

وفى الحج تذكير بنعم الله تعالى على عبده ، فقد أخرجه من بطن أمه عاريا لا يملك شيئا ، فحفظه وكساه ورزقه ما أغناه ، فكان جديرا أن يعرف هناك حق إخوانه الفقراء ، فيما أعطاه الله . وبذلك تتحقق دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام :

« ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم إلى : لعلهم يشكرون » .

وفى الحج شرعت التلبية « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » أنشودة سماوية رائعة لهازنة فى الاسماع ، وهزة فى العواطف وتأثير فى الوجدان وفيها اعتراف بالوحدانية لله ، وروحانية تشع على النفس فتملأ جوانحها بالنور والضياء ، وفيها إعلان للمساواة التامة بكل معانيها ، فالكل أحرار متساوون ، لأن العبودية لله وحده ، والكل عباد متساوون ، لان الحمد لله وحده . لا يذل إنسان إنسانا ولا يستعبد إنسان إنسانا فالكل لآدم وآدم من تراب .

وفى الحج شرع الطواف بالبيت الحرام لانه أول بيت وضع للناس ، وإليه يتجهون فى صلاتهم رمزا للوحدة وجمعا للكلمة ، وفى استلام الحجر الأسود وتقبيله رمز لحب روح الخير فى الأرض كما أن فى المكان الذى ترمى فيه الجمرات رمزا لبغض روح الشر فى الأرض ، فروح الخير يقبل ويستلم وروح الشر يلعن ويرجم ، وهذه حكمة بالغة فى منتهى السمو بتصوير المعانى للنفس الانسانية وتجسيمها ، وفى الحج شرع رمى الجمرات وفى ذلك حكمة عظيمة هى أن يد المسلم يجب أن تكون يدا متمرنة على أساليب الجهاد التى أهمها الرمى وإصابة الهدف ولهذا رأى العلماء أن الرمية إذا أخطأت الهدف لم تحسب من العدد وتجب

إعادتها حتى تصيب هدفها ، فهذا الرمى تحقيق لليـــد الحربية ، فأن الاسلام لا يريد يدا متعطلة ولا يدا عاجزة وإنما يريد يدا قوية لتخوض ميادين الجهاد فى سبيل الله . هذه هى بعض حكم الحج وأسراره ، فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا .

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن هذا البيت دعامة من دعائم الاسلام ، فمن حج أو اعتمر فهو ضامن على الله، فأن مات أدخله الجنة وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة »

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولى المؤمنين وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خاتم النبين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد فيا عباد الله ، إن زيارة مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة من أجل القربات وأنبل الطاعات وإذا كانت مكة تمثل مهد الاسلام ، فأن المدينة تمثل مجد الاسلام فهى أول عاصمة للمسلمين انبعثت منها كتائب الحق تدعو إلى الله حتى ارتفعت راية الاسلام وشع النور المحمدى مضيئا قويا يرشد الناس إلى طريق الهدى والفلاح. وقد وردت آثار فى فضل زيارة المسجد النبوى ، ليجدد كل مسلم أمام روضة رسول الاسلام البيعة لدينه ونصرته ، فيامعشر الحجاج اغتنموا زيارة هذه الأماكن المقدسة وابتهلوا إلى الله بالدعاء ليعيد للاسلام مجده ، وللمسلمين قوتهم ويجمع شملهم . اللهم ارزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم أصلح لنا ديننا الخ .

محمد امام أحمد الحلبى
امام وخطيب مسجد
حدائق القبة

المنبر العام

كتاب الشهر :

خلق المسلم

لفضيلة الأستاذ الداعية محمد الغزالى

كانت المكتبة الإسلامية منذ عشرة أعوام فقيرة مجدبة ، فما بها من الكتب الدينية على كثرته ، لا يمس مشاكل العصر ، ولا يصد الشبهات الظالمة التى تتراكم على الإسلام من كل صوب ، ثم حفلت المكتبة الإسلامية بفيض زاخر من المؤلفات الممتازة ، وكانت كتب الأستاذ الغزالى نواة طيبة لهذا الغرس الحميد الذى آتى أكله ، وأينع ثمره ، فالقارىء يجد روح الغزالى شفافة وضيئة فى أكثر ما يكتب اليوم دفاعا عن الإسلام ، وحسب الكاتب نفعا أن يكون رائداً للعلم فى غابة شجراء تحوطها المخاطر وتكتنفها الأهوال .

وكتب الغزالى مهما اختلفت عناوينها ، وتعددت مواضيعها ، تدور فى فلك واحد ، إذ تهدف إلى تنقية الإسلام من الشوائب ، وترسم الصورة الوضيئة لدين جعله الله نهاية للكمال المرجو فى الحياة وقد خضعت هذه المؤلفات القيمة إلى قانون التطور ، فكتابه الأول عن الإسلام والأوضاع الاقتصادية كالطفل الوليد فيه قوة الروح ، وحرارة الحياة ، ولكنه فى سنواته الأولى لا يقوى على صراع الخطوب ، ومجالدة الأعباء ، ثم نما الطفل وترعرع سريعا حتى بلغ فتاه الكامل ، وأدرك شبابه الغض ، حين أخرج المؤلف كتابه (من هنا نعلم) وما أعقبه من آثار باقيات .

وكتاب (خلق المسلم) بناء كامل وضيء تعددت أبهاؤه ومنافذه ، واستوت حجراته الجميلة أنيقة بديعة ، ثم غمرته الأضواء المشرقة ، فكان نسقاً فريداً يهدف إلى غايته ، ويصل إليها فى طريق مملوء بالزهر والريحان ، وقد أراد به المؤلف أن يكون دستوراً واضحاً ، يتقيد المسلم بنصوصه ، ويعتصم بمواده ، ومن ثم فقد دعمه الكاتب بالأدلة الثابتة من الكتاب والسنة ، ليكون قبساً من آى الذكر الحكيم ، وشعاعاً من ضياء نبي الإسلام ، وإذ ذاك يتحتم على المسلم أن يلوذ به ، ويسير — فى أمن — على هداه .

وقد قلت إن الأستاذ الغزالى يسير إلى غايته فى طريق مملوء بالزهر والريحان وأعنى بذلك ما يروع القارىء فى كتابه الواضح من جودة الأسلوب وصفائه ، فقد ارتفع الكاتب بتعبيره السلس إلى ذروة عالية من الإبداع ، وقد فرضت عليه طبيعة موضوعه هذه الجودة الرصينة ، فهو يستشهد فى كل فصل من فصوله بآيات من كتاب الله ، وآثار من سنن الرسول ، ممهداً لها ، ومعقباً عليها ، وبلاغة النصوص المختارة — قرآنا وحديثاً — ترتفع بأسلوب صاحبها وتدفعه لا شعورياً إلى التحليق فى أجوائها دون إسفاف ، وإذا كان صديقى الأستاذ محمد فياض يتساءل عن معدن الأديب الكامل فى أعماق الغزالى(١) ، فليبحث عنه فى خلق المسلم ، دون نزاع .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه :

(هذه نقول من الكتاب والسنة توجه المسلم إلى الفضائل التى يتم بها دينه ، وتصلح بها دنياه وأخراه جميعاً ، وقد مهدت لها ، وعقبت عليها ، بتفاسير موجزة تعالج ما انتاب المسلمين فى هذه الأعصار من انحراف وهبوط ، نتيجة ما أصاب أخلاقهم من عقد وعلل واكتفيت بما سقت من آيات وذكرت من

(١) منبر الاسلام : رمضان سنة ١٣٧٣ هـ .

أحاديث ، فلم استطرد إلى إيراد الشواهد الأخرى من أقوال الأئمة وحكم العلماء ، وعظات المتأدبين — على كثرتها فى تراثنا القديم — لأنى قصدت أن نرجع إلى الشريعة وحدها ، وأن أعرض جانب التربية منها ، على أنه توجيه الهى يطالب المسلم بتنفيذه ، ويعتبر مقصراً فى حق الله حين يعرض عنه) .

وقد ظلم الأستاذ الغزالى نفسه مرتين حين ساق هذا الكلام فى مقدمة كتابه ، فموضوعات الكتاب ليست نقولا من الكتاب والسنة مهد لها وعقب عليها بتفاسير موجزة فقط ! بل كل موضوع على حدته نموذج رصين للمقال الأدبى ، فهو يبتدأ بمقدمة كاشفة ممهدة ، ثم يتشعب الحديث كما يستقيم للكاتب فى حدود المنهج العلمى الذى يحلل ويعلل ويشخص ويعالج ثم يصل إلى النتيجة المقصودة متكئا على النصوص الدينية فوق القياس العقلى الذى تتحتم مراعاته فى كل أثر علمى ! ! فالقول بأن مواضيع الكتاب نقول عقب عليها ، ومهد لها يصدق على كتاب « كالأخلاق والواجبات » للأستاذ المغربى عضو المجمع اللغوى ولكننا نظلم « خلق المسلم » إذا حصرناه فى هذا الحيز المحدود ! !

وناحية ثانية ظلم فيها الأستاذ الغزالى نفسه ، فقد وضع أمامه الحواجز الحائلة ، والسدود القائمة حين جانب الائتناس بأقوال الأئمة ، وحكم العلماء وعظات المتأدبين ، وتعليله ذلك بالرجوع إلى الشريعة وحدها ، فى هذا التوجيه الإلهى ، لا ينهض وحده كحجة مقنعة ، إذ أن كتب الأخلاق — فوق إقناعها المنطقى — تهدف إلى سمو الروح ، وصفاء القلب ، وسلامة الطوية ، والناحية الحتمية التى تتطلب من المسلم التزام أمر معين ، على أنه فرض الهى لا تصلح وحدها للتأثير على النزوات الجامحة والأهواء المتربصة فلا بد من التمثيل بابتلاء الصابرين ، وسير الهداة ، وأقوال الأئمة ، ليكون من ذلك سلاح يغزو الشعور ويهيمن على الخاطر ، وإذ ذاك يتعاون الإدراك والوجدان معاً فى كتاب خلقى يعتمد تأثيره على الإيماض والايحاء كما يعتمد على الحجة والبرهان سواء بسواء .

ولقد درس الأستاذ الغزالى كتب الأخلاق ، وألم بما ذكره الفلاسفة والعلماء عن الخير والشر من لدن أفلاطون ، ولا بد لمن يكتب كتاباً عن الاخلاق أن يدرس هذه الدراسة المستوعبة غير أن المؤلف لا يفجؤك بآراء الأخلاقيين ، ولا يصدمك بالمصطلحات العلمية — وجلها منطق جاف — ولا يحشد النقول الصاخبة بل ان مطالعات الغزالى قد تفاعلت واختمرت ، حتى أصبحت فكراً هادئة ترتبط بالتوجيه الاسلامى للأخلاق فهو فى تحليله الهادىء يبرز ثمار معارفه ، وقد تمثلت فى نفسه فكادت تكون مادة أخرى بعد أن صهرت فى بوتقته الذاتية ، دون أن يفقد القارىء الحصيف بذور آرائه ومقوماتها الأصيلة ، وقد يقول قائل « إنه يكتب عن الأخلاق » من زاوية الإسلام فلاصلة له بآراء الفلاسفة وعلماء الأخلاق ، ولكننا نعلم أن الأخلاق الإسلامية نهضت قمة عالية تضم فى لبناتها المتراصة أجزاء قوية من الفكر الإنسانية التى تهدف إلى الحق والخير والكمال ، فهى فى نسقها القرآنى مجال للدراسة والموازنة والتعليل .

وقد أحسن الاستاذ إذ تباعد عن المصطلحات العلمية فى كتاب يهدف إلى تقويم السلوك وتنمية الروح . ولكنه أغفل بعض الفوارق الهامة للكلمات الاخلاقية ، وكان من الحتم أن تسجل فى سطور الكتاب ، فلماذا لم يبدأ المؤلف بتعريف « للخلق » وهو موضوع كتابه ، ليعلم القارىء متى تصير الصفة خلقاً ، ولماذا لا يوضح الفروق بين المداهنة والمداراة أو بين الحقد والحسد والغبطة ، وأمثال ذلك ليعلم ما يمدح وما يقدح ! لعل المؤلف قد رأى فى اشتهار هذه المعانى ما لا يلجىء إلى التفسير ، وشفيعه فى ذلك ما ضرب من الامثلة العديدة للطيب منها والخبيث .

وكتاب (خلق المسلم) يؤدى رسالة دائمة لا تتقيد بزمن أو مكان فهو دستور المسلم أنى وجد وحيث كان ، وهو بهذا الوضع لا ينفعل حاجات عصره

وأخطاء زمنه، بل يتخذ منها أمثلة تكشف القناع عما يريد، فهو حين يتحدث عن الصدق مثلا - يوضح ما تجره الصحافة الكاذبة من نكبات إذ تتسع ضررها ويمتد حتى تشمل الكذبة الواحدة آلاف القراء، ثم يتكلم عن الانتخاب البرلمانى ويرى فى تزكية غير الكفء كذباً وزوراً أى زور، وحين يتحدث عن الامانة يرى من الخيانة إسناد المناصب فى الدولة إلى غير أربابها، ويلهب الشفاعات والمحسوبية بسياط ملهبة، وحين يتكلم عن الوفاء بالعهد يعلن أن الشروط المكتوبة لا حرمة لها إذا تعارضت مع الدين، وحين يتحدث عن القصد والعفاف ينعى على الشباب ما فتن به من الاناقة والطراوة والولوع باللباس!! حتى صار الواحد منهم معرضاً للازياء!! وهكذا يطارد الكاتب أوبئة عصره فى علاج شامل لما يتعاقب من الاجيال، دون أن يفقد البحث خلوده الابدى بحال.

وكنت قرأت للاخ الاستاذ محمد فياض بحثاً عن مؤلفات الغزالى بمجلة الرسالة يقول فيه(١).

« والاستاذ محمد الغزالى يفكر برأس عالم بما يحويه المعنى العلمى من لوازم الدقة المنطقية، وينفعل بخواطر الاديب فى وضع تأملى محدود، فهو باحث محدود المجال، لا يكتب للزمن كله، والمكان كله، والفكرة كلها بقدر ما يكتب لجيله ولعصره ومن يعيش فيه » وهذا القول على إطلاقه يحتاج إلى تعقيب، إذ أن كتب الغزالى على نوعين. نوع يعالج مشاكل عصره وحدها. ويحارب الشبهات المصوبة للاسلام فى زمن معين. وذلك كالاسلام المفترى عليه بين الشيوعية والرأسمالية، أوالاسلام وأوضاعنا الاقتصادية، أوالاسلام والمناهج الاشتراكية. وهذا النوع - مع ضرورته الملحة ووجوب الكتابة فيه وجوبا

(١) الرسالة ١٩٥٢/٤/٢١ العدد ٩٨١

عينيا على الدعاة المخلصين — قد ينطبق عليه قول الاستاذ فياض . دون أن يفقد قيمته التاريخية والاجتماعية . حين تسجل الافكار المذهبية . ويرصد تطورها الدائم فى صحيفة الزمن الباقية . أما النوع الآخر . وهو الذى يعالج القضايا الانسانية . ويحلل المواقف التاريخية . ويشرح العقائد الدينية . ويترجم المذاهب الخلقية . هذا النوع لايتقيد بزمن وأناس . وآثار الأستاذ الغزالى فيه وافية كافية . كعقيده المسلم . والتعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام . وفقه السيرة . وخلق المسلم . وغيرها مما لا يختص بوقت محدود . أو طبقة من نوع خاص .

وكتاب « خلق المسلم » بعد ذلك . يدفع القارىء إلى استيعابه وتحصيله . ولن تجدى عن قراءته تلخيص وتركيز ! ! ولعل أبرز ما يحتويه . هذه الأحاديث المنتخبة من الآثار الصحاح ، فقد أحسن الأستاذ سياقها فى مناسبتها الدقيقة ، حتى لكأنك تقرأها لأول مرة فى حياتك . كما اتكأ الغزالى على عقله اليقظ فى تخريجها وتعليلها . فأتى - كثيراً - بما يعجب ويروق . وإليك المثال .

قال الكاتب ص ١٤٦ « وتخفف الانسان من مقادير الأطعمة . لا يتم بالزهد المجرد . والامتناع لغير معنى مفهوم . بل الطريقة الصحيحة أن يربط الإنسان همته بمطمح كبير ثم ينشغل بتحصيله . فإن هذا يصرفه عن فنون اللهو وأنواع الملذات الرخيصة .

حدث أن أضاف رسول الله رجلا كافراً . فأمر له بشاة فحلبت ، فشرب حلابها . ثم أمر بأخرى فشرب حلابها . ثم شرب حلاب سبع شياه . ثم إنه أصبح فأسلم فأمر له رسول الله بشاة فشرب حلابها . ثم أخرى فلم يستتمه . فقال رسول الله « إن المؤمن ليشرب فى معى واحد . والكافر يشرب فى سبعة أمعاء »

وذلك أن الرجل غلبه التفكير عند ما شعر بروعة الانتقال من طور الجاهلية إلى طور الاسلام وعند ما عرف موقفه الجديد من ربه . وتكاليف دينه . وحساب آخرته. فكان لارتفاع همته إلى تأسيس حياة أرقى مما مضى، أثر بالغ فى عزوفه عن الاستفادة مما قدم له » اه .

فالأستاذ قد ساق القضية أولا . ثم ذكر العلاج وأصاب فى تشخيصه بما لا يخرج عما يسميه علماء النفس بالاعلاء إذ يربط همته بمطمح كبير يشغل بتحصيله . ثم استشهد بالأثر النبوى فى موضعه دون أن يتكلف له استطراداً سقيما . وأصاب شاكلة الصواب حين فطن إلى السبب الأصيل فى القناعة بعد الشره . والعزوف بعد الاستزادة مستعينا بالبوارق الخاطفة من ذهنه الوقاد .

إن الغزالى يضيف بمؤلفاته العديدة إلى العقل الاسلامى ذخائر ثمينة . وقد قابلها القراء على اختلاف مشاربهم بالمعاضدة والارتياح . وهأنذا أعيد فى خاتمة هذا النقد ما سبق أن ذكرته عنه بمجلة الرسالة الغراء(١) .

« لقد فهم الأستاذ الغزالى الفقه الاسلامى . وأدرك أصوله ومنازعه . إدراكا يمده الذكاء النافذ. والنقد البصير . كما ألم بمشكلات عصره وعلل مجتمعه وأخذ يستلهم السماء فى إصلاح الأرض . ويضمد بالوحى الالهى . والهدى النبوى جراح الأمة الناغرة فكثر قراؤه . وتشعب إنتاجه . وتعددت طبعات مؤلفاته . كما ترجم بعضها إلى لغات مختلفة وفى هذا دليل على أن الحق لا يعدم أنصاره فى كل مكان . بل يزحف إلى غايته النبيلة . ساخراً بما يعترضه من الحواجز والحدود .

(محمد رجب البيومى)

---

(١) الرسالة ١٣ أغسطس سنة ١٩٥١ العدد (٩٤٥)

التعاقد بين الغائبين

قد يكون المتعاقدان مفترقين متباعدين لا يجمعهما مجلس واحد فيستعملان الرسالة بأن يوفد أحدهما إلى الآخر رسولا خاصاً لا يكون نائباً أو يكتب كتاباً يبعثه إليه أو يستعمل البرق أو البريد ، فيعتبر مجلس العقد حيث يبلغ الرسول رسالته إلى المرسل إليه، أو حيث يقرأ المرسل إليه الكتاب. فإذا أبلغ الرسول رسالته كانت عبارته إيجابا ، ووجب أن يتصل به قبول المرسل إليه وإلا بطل . وإذا وصل الكتاب إلى المرسل إليه فقرأه كانت قراءته إيجابا فإذا اتصل قبوله به نشأ العقد. أما إذا فصل بينهما مايدل على اعراضه عنه ثم قبل بعد ذلك لم ينشأ العقد : وقد نصت المادة ٢٥٢ من مرشد الحيران(١) على مايأتى «كما ينعقد البيع بالإيجاب والقبول خطابا يصح انعقاده بهما تحريراً أو مكاتبة»

ويشترط القبول فى مجلس وصول الكتاب وقراءته وفهمه . . .

ويقول الدكتور السنهورى فى كتابه الوسيط فى التفرقة بين التعاقد بين الحاضرين والغائبين إنه « ليس الذى يميز ما بين الفرضين فى حقيقة الأمر هو أن يجمع المتعاقدين مجلس العقد أو لا يجتمعا فى مجلس واحد بل إن المميز هو أن تفصل فترة من الزمن بين صدور القبول وعلم الموجب به ففى التعاقد ما بين حاضرين تنمحى هذه الفترة من الزمن ، ويعلم الموجب بالقبول فى الوقت الذى يصدر فيه . أما فى التعاقد ما بين غائبين فإن القبول يصدر ثم تمضى فترة من الزمن هى المدة اللازمة لوصول القبول إلى علم الموجب ، ومن ثم يختلف وقت صدور القبول عن وقت العلم به .

---

(١) فقه حنفى .

المالك ويحال بينه وبين آثار ملكه من حرية التصرف فيه .

فعلى مذهب المالكية إذا قيد الموجب نفسه بوقت محدد أو استخلص هذا القيد من ظروف التعامل فيصبح الموجب ملزما بإيجابه طيلة هذه المدة فإذا صدر القبول فى خلال الفترة التى يكون فيها الإيجاب ملزما للموجب تم العقد إذا كان ذلك فى مجلس يجتمع فيه الموجب والقابل . أما إذا صدر القبول خارج المجلس (١) فلا عبرة به بحيث لو مضت المدة التى يكون الإيجاب فيها ملزما للموجب دون قبول، سقط الإيجاب وعلى ذلك فإذا صدر القبول خارج المجلس ثم اتى من صدر منه القبول يبلغ الموجب قبوله فالعبرة هنا بالإيجاب الثانى ولا عبرة بالأول لأنه لا اعتداد به .

ثالثا – الواقع أن الأصل أن يخضع العقد لحكم التعاقد بين الحاضرين إذا جمع المتعاقدين مجلس واحد ، ولحكم التعاقد بين الغائبين إذا لم يجمعهما مجلس واحد وهذا هو المميز الأول كما يميز بينهما أيضا مرور فترة من الزمن بين صدور القبول وعلم الموجب به وهو لا بد وأن يحدث فى التعاقد بين الغائبين . وخرج عن هاتين القاعدتين التعاقد بالتليفون ، وأعطى حكم التعاقد بين الحاضرين رغم الفارق المكانى الذى يبعد بين المتعاقدين ، ورغم مرور فترة من الزمن بين صدور القبول وعلم الموجب به نظراً لأن هذه الفترة فى حكم المعدومة وقد نصت على ذلك المادة ٩٦ من القانون المدنى الجديد التى تنص على ما يأتى :

١ – إذا صدر الإيجاب فى مجلس العقد دون أن يعين ميعاد للقبول فإن الموجب يتحلل من ايجابه اذا لم يصدر القبول فوراً ، وكذلك الحال اذا صدر الإيجاب من شخص الى آخر بطريق التليفون أو بأى طريق مماثل .

---

(١) اشتراط اتحاد المجلس لا يشمل بعض العقود كالوصية والوكالة .

٣ – ومع ذلك يتم العقد ولو لم يصدر القبول فوراً اذا لم يوجد ما يدل على أن الموجب قد عدل عن ايجابه فى الفترة ما بين الإيجاب والقبول، وكان القبول قد صدر قبل أن ينفض مجلس العقد .

وقد جاء فى كتاب المعاملات الشرعية للشيخ على الخفيف :

« اذا استعملا التليفون فى التعاقد كانا كحاضرين ، فيدوم مجلس العقد ما دامت محادثتهما فى شأنه ، فإذا انتقلا منه الى حديث فى موضوع آخر انتهى مجلس العقد وبطل بذلك الإيجاب » .

لذلك لا مانع من القول أنه لو صح أنه لا يميز بين الحالتين اجتماع المتعاقدين فى مجلس واحد أو عدم اجتماعهما فيه ، لصح أيضا أنه لا يميز بينهما مرور فترة من الزمن بين صدور القبول وعلم الموجب به ولكن كلا المميزين صحيح وخرج عن ذلك التعاقد بالتليفون لما توضح آنفا .

عرفنا اذن متى يخضع العقد لحكم التعاقد بين الغائبين ولكن متى يتم التعاقد بين الغائبين ؟ لم يشتمل القانون المدنى القديم على نص تشريعى فى هذا الموضوع ، وقد كان يسود الفقه أربعة مذاهب :

(١) المذهب الأول ويذهب أنصاره الى أنه متى أعلن الطرف الآخر قبوله للايجاب المعروض عليه فقد توافقت الارادتان ، وتم العقد لأن العقد هو توافق ارادتين ، وهذا المذهب – كما يقولون – يتفق مع مقتضيات الحياة التجارية من وجوب السرعة . ويلاحظ على هذا المذهب أنه كان يتفق مع الفكرة السائدة فى القانون القديم، وهو أن العقد توافق ارادتين، أى يتفق مع مذهب الارادة الباطنة الذى لم يأخذ به المشرع فى المادة ٨٩ من القانون المدنى الجديد حيث يقول « يتم العقد بمجرد أن يتبادل طرفان التعبير عن ارادتين متطابقتين . . . »

(ب) ويذهب أيضاً المذهب الثانى إلى الاكتفاء بإعلان القبول ولكنهم يشترطون أن يكون هذا الإعلان نهائياً لارجوع فيه ولا يكون ذلك إلا إذا كان من صدر منه القبول قد بعث بقبوله فعلا إلى الموجب بحيث لا يملك أن يسترده بأن ألقاه فى صندوق البريد مثلا .

(ج) أما أنصار المذهب الثالث فيقولون إن القبول لا يكون نهائياً بتصديره ، إذ يمكن استرداده وهو فى الطريق وهو لا يكون نهائيا ، لا يسترد إلا إذا وصل إلى الموجب ، ففى هذا الوقت يتم العقد سواء علم به الموجب أو لم يعلم ويعتبر وصول القبول قرينة على العلم به .

(د) أما أنصار المذهب الرابع فلا يرون الاكتفاء من القبول بإعلانه بل يشترطون علم الموجب به شأن كل إرادة يراد بها إنشاء أثر قانونى، وهم يتخذون من وصول القبول قرينة قابلة لإثبات العكس على علم الموجب به . وفى ظل القانون القديم كان القضاء الوطنى يميل إلى الأخذ بمذهب العلم بالقبول .

أما القضاء المختلط فبعض أحكامه كانت تأخذ بمذهب العلم بالقبول والبعض الآخر يأخذ بمذهب إعلان القبول .

وقد حسم القانون الجديد كل خلاف فى هذا الشأن فنص فى المادة ٩١ على ما يأتى :

« ينتج التعبير عن الإرادة أثره فى الوقت الذى يتصل فيه بعلم من وجه إليه، ويعتبر وصول التعبير قرينة على العلم به إلا أن يقام الدليل على عكس ذلك » .

كما نص فى المادة ٩٧ على ما يأتى :

١ — يعتبر التعاقد ما بين الغائبين قد تم فى المكان وفى الزمان اللذين

يعلم فيهما الموجب بالقبول ، ما لم يوجد اتفاق أو نص قانونى يقضى بغير ذلك » .

٢ - ويفترض أن الموجب قد علم بالقبول فى المكان والزمان اللذين وصل فيهما هذا القبول .

ويتبين من هذا النص أنه إذا لم يتفق المتعاقدان، ولم يوجد نص يحدد زمان ومكان العقد فيعتبر العقد قد تم فى المكان والزمان اللذين يعلم فيهما الموجب بالقبول .

ويلاحظ أن حكم الفقرة الثانية من المادة ٩٧ ليس إلا تطبيقاً للمبدأ الذى نصت عليه المادة ٩١ من أن الإرادة لا تنتج أثرها الا فى الوقت الذى تتصل فيه بعلم من وجهت اليه ، ويكون وصول القبول قرينة على العلم ولكن يمكن اثبات عكس هذه القرينة .

وهناك نصوص قانونية تقضى بغير ذلك مثل المادة ٥٩٩ التى تقضى بتجدد الإيجار تجدداً ضمنيا ببقاء المستأجر فى العين المستأجرة .

ويذهب الحنفية الى أن العقد يتم بمجرد صدور القبول من المرسل اليه وان لم يعلم به الموجب .

أما المالكية فإن العقد يتم عندهم فى الزمان والمكان اللذين يعلم فيهما الموجب بالقبول ، وهذه مادة صاغتها لجنة من القانونيين والشرعيين مأخوذة من مذهب المالكية وتنص هذه المادة على ما يأتى :

١ - اذا حصل تعاقد بين غائبين بطريق المراسلة ونحوها ، فإن العقد يعتبر قد تم فى المكان والزمان اللذين يعلم فيهما الموجب بالقبول الا اذا اقتضى نص قانونى أو شرط أو عرف غير ذلك .

٢ — ويعتبر وصول القبول قرينة على العلم به .

وعلى ذلك يتم العقد عند المالكية بعلم الموجب بقبول القابل ويعتبر وصول القبول قرينة على العلم، أما الحنفية فيتم العقد عندهم بمجرد صدور القبول فى مجلس وصول الإيجاب فإذا ما أعرض القابل عن الإيجاب وانتهى المجلس دون قبول لم يتم العقد . ويذهب رأى الى أنه طالما أن هذا الإعراض لم يتصل بعلم الموجب فلا ضرر من اعتبار الإيجاب قائما ، لأننا ما أبطلنا الإيجاب عند الإعراض عنه إلا ليسترد الموجب حريته فى التعاقد مع غير من ساومه ، أو فى الاحتفاظ بملكه وذلك لا يتم الا اذا علم بالإعراض ، أما اذا لم يعلم بالإعراض فما الضرر من اعتبار ايجابه قائما الى أن يعلم ، حتى اذا صدر القبول قبل العلم نشأ العقد ؟ والقول بهذا لا يتنافى مع ما جاء فى الهداية من أنه لا يشترط فى بطلان الايجاب بالاعراض علم المرسل فقد جاء فيها ما نصه « والكتاب كالخطاب ، وكذا الارسال ، حتى اعتبر مجلس بلوغ الكتابة وأداء الرسالة » . اذ من الممكن أن نعتبر مجلس بلوغ الكتابة أو أداء الرسالة مجلسا للعقد ينتهى بالاعراض دون قبول ، ولا يبطل بانتهائه الايجاب ، فيصح أن يتجدد فى مجلس آخر ، ويؤيد ذلك : ما نقل فى الكتاب من أنه يعتبر ايجابا قائما ما دام فى يد المرسل اليه ، فيقبله فى أى وقت .

وقد جاء فى كتاب النكاح من فتح القدير أن الايجاب اذا كان بالكتابة فقرىء الكتاب فى مجلس فلم يتصل قبول فيه جاء اتمام العقد بقراءته مرة أخرى فى مجلس آخر ، يتصل به القبول فيه . ويذهب رأى الى أن عقود المال أولى بهذا الحكم ، لأنه يتساهل فيها بما لا يتساهل فى عقد النكاح . وقد علل فتح القدير رأيه بأن الغائب انما صار مخاطبا للمخطوبة بالكتاب ، والكتاب باق فى المجلس الثانى .

وقد يقال مع هذا إن التلفظ ليس شرطا فى عقود المعاوضات المالية فلا داعى لقراءة الكتاب مرة أخرى بل يعتبر وجوده وقيامه ايجابا بالكتابة ، فإذا علم مضمونه كان للمرسل اليه أن يقبل فى أى وقت ، وينشأ بذلك العقد

لقيام الايجاب بقيام الكتاب . وعندئذ لا يمكن الا أن يعتبر مجلس العقد فى هذه الحالة هو مجلس القبول ، ويصح قبوله فى كل وقت مالم يرفض . فإذا أعاد الرسول رسالته بعد حصول ما يعد اعراضا عنها عند تبليغه الأول ، فلا مانع من اعتبار اعادة التبليغ ايجابا مبتدأ كما فى اعتبارنا الكتاب ايجابا قائما بقيامه ، والرسول فى اعادته الرسالة لن يكون أكثر من شخص قام بها متبرعا ، وقد جاء فى الهداية والبحر أن الموجب اذا أوجب فى غيبة العاقد الآخر ، ثم قال : يافلان بلغ هذا الى فلان فأبلغه اليه شخص آخر غير المنادى من تلقاء نفسه قبل قيام الرسول المأمور بذلك التبليغ ، وقبل العاقد الآخر بناء على هذا الابلاغ تم العقد ، لأنه يكفى مجرد التبليغ من أى شخص متى كان ذلك مرغوبا فيه من الموجب والله أعلم .

م . ج

(بقية خطبة القرآن دعوة الحق المنشور على صفحة ٣٠)

كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » .

روى الترمذى عن على كرم الله وجهه أنه عليه الصلاة والسلام قال « ستكون فتن كقطع الليل المظلم . قلت يارسول فما المخرج منها ؟ قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ونوره المبين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم . هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب منه الآراء . ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء . من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » ؟

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم » .

حامد محمود إسماعيل
خطيب مسجد الكزرونى

التطورات البشرية

كل ما وصلت إليه البشرية اليوم من ارتقاء فى القيم الإنسانية الثاوية فى أعماق الإنسان . وتصرفات حضارية ومدنية سواء فى محيط الفرد أو الجماعة ، ومن اهتمامات بالمعرفة والعلم والفنون ، ومن تكتلات شعبية وإقليمية ودينية وفكرية ؛ إنما هو نتائج طبيعية لتطورات ومراحل وأجيال وعصور ، مرت بها البشرية منذ الكائن البشرى الأول إلى اليوم ما فى ذلك من جدال .

وعند التحقيق الاجتماعى ، نجد أن هذه التطورات البشرية التى انتهت بالانسانية إلى ما هى عليه اليوم ، وما ستكون عليه غداً ؛ كانت تنبع من الانسان ذاته . الانسان الذى نعرفه كائنا من أرقى الأحياء على كوكبنا الأرضى والانسان الذى نعرفه فى حالات متداخلة متلاصقة ، حالة كونه فرداً ، وحالة كونه عضواً فى جماعة ، وحالة كونه جزءاً من الانسانية الكبيرة ، والانسان لذى نعرف أنه نتاج سلالات ووراثات وبيئات حياتية ، ودرجات ثقافية وتشكلات اجتماعية فى القيم والمقاييس والتقاليد والتصرفات . فالانسان فى الواقع هو نبع التطور البشرى باعتبار تطوره تلبية لحاجياته الزمنية ولطبيعته الانسانية الصاعدة . ومن هذا الانسان نبعت سائر التطورات البشرية فى مختلف مراحل التاريخ المتشابكة المعقدة باعتبار هذه التطورات من الانسان استجابات تلاؤمية مع وضعه الزمنى وطوره الانسانى ، وتحقيقات لنزعاته العميقة نحو الارتقاء فى قيمه ومعارفه ونحو التقدم الحضارى والمدنى ، ونحو الارتفاع بمستوياته الاجتماعية ونحو الاتساع فى محيطه الانسانى من محيط القبيلة والعشيرة إلى محيط العنصر والفكرة والجماعة والدولة والاقاليم إلى محيط الانسانية الكبير فى المستقبل المنشود .

وفى الواقع أن وضع الانسان على الأرض مجرداً من كل القوى إلا من معدنه الراقى المستعد أبداً للتطور والتلاؤم ، وإلا من خامات كوكبه ، مشكلة كبرى دون حلها عقبات فى مجاهل الطبيعة ، وعراقيل فى نزعات النفس الانسانية ، وعثرات فى البناء الاجتماعى والانسانى واعتراضات فردية وجماعية بين أفراد الجماعة وبين تكتلات الانسانية حول منفعة الأفراد ومنفعة الجماعات هذه العقبات والعثرات وتلك العراقيل والاعتراضات هى المشكلة الحقيقية الكبرى حيال الانسان منذ كائنه الأول إلى اليوم . وفى حل تلك المشكلة ، تحقيق للوجود الانسانى ، لسلامه وأمنه وغاياته . ولكى يتحقق ذلك الحل ، لا بد للانسان من قيم وعقائد ومعارف وتنظيمات وتشكلات ، وبعبارة أكثر اختصاراً لا بد للانسان من تطورات جذرية معقدة فى كل محيطاته الفردية والاجتماعية والانسانية من جهة ، والطبيعية من جهة مقابلة . قبل أن يتحقق الحل البشرى المعبر عن وجود الانسان بصفة مرضية إن لم تكن نهائية .

التطورات البشرية إذن هى ملتقيات الطرق بالنسبة للانسان فى مسيره إلى هدفه المرموق . وهذه التطورات منها ما يجرى داخل الفرد ومنها ما يجرى داخل الجماعة قبل أن تنعكس أفعالا مادية من الأفراد ومن الجماعات . فكل ارتقاء داخل الفرد تطور . وكل ارتقاء داخل الجماعات تطور . والاجتماعيون لا يفصلون بين التطورات الفردية والجماعية فهما وحدة لا انفصام بينهما إلا على الورق ابتغاء التحديد والتوضيح فمن البديهيات المسلمة لدى عدد من الباحثين أن تطور الجماعة نتيجة طبيعية لتطور أفرادها، وأن تطور الفرد نتيجة طبيعية لاهتزازات الجماعة من حوله واستعداد أرضها وإمكانياتها لتطويره ونقله من الجهل إلى المعرفة . ومن الأقل فى المعرفة إلى الأكثر منها . ومن سطح ظاهرى فيها إلى سطح أعمق . كما أن تطور الجماعة رهن بتطور الفرد بها وابتكاراته ووثباته أحياناً وبمدى استجاباته للتأثرات والحاجات الاجتماعية من

حوله . قد يبدع الفرد اختراعا يترتب على استغلال المجتمع له استغلالا حضارياً أو علمياً ، تطور حضارى أو علمى فى الوسط الاجتماعى، وقد يأتى الفرد بفكرة يترتب على استجابة المجتمع لها ونمائها فيه وشيوعها فى وسطه تطور اجتماعى أو فكرى أو عقيدى حسب موضوع هذه الفكرة وحسب كونها جزئية محدودة فى أفق من آفاق المجتمع. أو كونها كلية شاملة لآفاق النشاط الاجتماعية أو معظمها . والاختراع والفكرة كلاهما وليدا البيئة الاجتماعية . تمركز نبعها الانبثاق من الانسان الفرد فى هذه الحالة وإنما يكون الاختراع والفكرة وليدا البيئة الاجتماعية إذا استجاب المجتمع للاختراع بالاستغلال وللفكرة بالاستجابة والتنمية والشيوع . أما حين لا يستجيب المجتمع . فمعنى ذلك أن ما ابتكره الفرد وأبدعه لم يكن فى هذا المجتمع وحدة من وحدات التطور . وقد يستجيب المجتمع له فى فترة أخرى حين يجد الضرورة الملحة للتلاؤم مع حياته بذلك الاختراع أو بتلك الفكرة . ويكون الفرد آنئذ سابقا لحينه . ومن يدرى فقد يكون منحرفا عن البيئة الاجتماعية من حوله فلم يجد أرضاً مستجيبة لما أحدثه من ابتكار وإبداع .

وليس حتما أن تكون كل الانبثاقات التطورية من نبع الفرد وحده — كما أسلفنا — فكثيراً ما تكون وليدة عديد من الأفراد وقد تكون وليدة المجتمع بأسره نتيجة لاهتزازات والتقاءات مجموعة من العوامل الاجتماعية . كما حدث فى تطور أوضاع الحكم الأموى وآثاره إلى أوضاع الحكم العباسى وآثاره فى المجتمع الاسلامى ؛ أو مجموعة من الظواهر والاكتشافات العلمية والفكرية مثل ما حدث من تطور فى الأوضاع الفكرية والعلمية من العصور الوسطى إلى عصر النهضة فى أوروبا فيتطور تقليد اجتماعى مثلا من شكل إلى شكل ويتطور اختراع علمى من وضع إلى وضع . وتنتقل بذلك مظاهر الحياة العلمية أو الحضارية من طور إلى طور فى الوسط الاجتماعى .

وهذه التطورات البشرية ، سـواء أتى بها الفرد واستجاب لها المجتمع أو تولدت ونمت من داخل الوسط الاجتماعى كله ، قد تكون بطيئة التغيير الاجتماعى بحيث لا تكاد تدرك وقد تكون جزئية التغيير فى أفق اجتماعى واحد أو فى جانب منه وقد تكون غير أساسية التغيير الاجتماعى فتسمى تلك التغيرات التطورية فى كل هذه الحالات « نهضة » إذا كان طابع التغير فيها النماء لا النكسة ، والزيادة لا النقصان . والنهضات الاجتماعية تلك ، تكون أكثر وجوداً فى مراحل الانتقال الاجتماعية كمقدمات لتطورات الذروة فى قمة فترات الانتقال ونهاياتها ، حيث يسطع تطور اجتماعى عام متولد من المجتمع أو منبثق من فرد استجاب له المجتمع ، يكون فيه نهاية فترة النهضة أو طور الانتقال وبداية طور الذروة أو طور الثورة .

فتطورات فترات الانتقال « نهضة » . ومن هنا سميت فترة الانتقال من العصور الوسطى فى أوروبا إلى العصر الحديث بفترة النهضة. وفترة النهضة تلك هى بمثابة السلالم فى بناء المجتمعات الصاعدة من دور إلى دور ومن أسفل إلى أعلى . ثم هى مقدمات إيجابية لخلق الشعور الاجتماعى العام أو الحاجة الاجتماعية الماسة إلى طور الذروة أو طور الثورة .

فطور الثورة يسبقه دائماً شعور من نوعها ، شعور بالحاجة إلى موضوعها فى المجتمع شعوراً غامراً واعياً بالوسيلة والغاية إلى موضوع الثورة المطلوبة . وذلك الشعور هو ما نسميه بالشعور الثورى . فإذا كانت الثورة بفكرة جديدة سكبتها عبقرية فرد فى وسط اجتماعى كفكرة كارل ماركس ، وإذا كانت الثورة بفكرة جديدة أحدثتها الاهتزازات الاجتماعية كفكرة الديمقراطية ، كان فى المجتمع من قبل ، شعور ثورى فكرى . وإذا كانت الثورة بتغيير نظام سياسى كالثورة الفرنسية كان فى المجتمع من قبل شعور ثورى سياسى . وإذا كانت الثورة باختراع جديد كاختراع الآلة البخارية ، كان فى المجتمع من قبل حاجة ثورية صناعية سبقتها وولدتها اكتشافات آلية فى طور النهضة أو الانتقال . وهكذا .

ولكن . متى تكون الثورة جديرة بمدلول تلك الكلمة وبذلك الاطلاق الاصطلاحى ؟ وبعبارة أدق وأوضح متى يكون التعبير عن شعور اجتماعى . ما ثورة بالفعل ؟ إنما يكون التعبير عن ذلك الشعور ثورة بالفعل إذا أحدث « انقلاباً » ، طور انقلاب من وراء طور التعبير . نعنى إذا أحدث التعبير عن شعور اجتماعى نتائج إيجابية كان يريدها المجتمع بالفعل ويعيها غاية ووسيلة . نعنى أيضاً إذا أحدث ذلك التعبير تغييرات أساسية وآثارا عميقة وتشكلات جديدة فى البناء الاجتماعى. سواء أكانت تلك التغييرات فى بناء المجتمع الفكرى وتشكيلاته النظامية كالتغييرات التى أحدثتها الفكرة الماركسية فى دول الاتحاد السوفيتى ، أم كانت تلك التغييرات سياسية كالتغييرات التى أحدثتها الثورة الفرنسية من نظم الحكم الملكية إلى الجمهورية فى دول أوروبا ، أم كانت تلك التغييرات فى المستويات الحضارية كالتغييرات التى أحدثتها الثورة الصناعية فى مجتمعات العالم وما تزال تحدثها حتى اليوم .

فالتعبير عن الشعور الاجتماعى لا يكون ثورة إلا إذا أحدث من بعده طور انقلاب ، طور نتائج التعبير عن ذلك الشعور الاجتماعى العام . أما إذا لم تتبع التعبير عن هذا الشعور تغييرات أساسية فى خط سير الجماعة ، لم يكن ذلك عن التعبير آنئذ سوى مجرد « حركة اجتماعية » يكثر وجودها فى فترات الانتقال ، بل لا تسمى نهضة إلا إذا أحدثت تغييراً ما طابعه البطء والجزئية وعدم الأساسية . وتاريخ العالم ملىء بالحركات الاجتماعية كتلك الحركات التى سبقت الثورة الفرنسية فى طريق التعبير عن الشعور الاجتماعى العام، وكسائر انتفاضات السخط الاجتماعى التى يعج بها عالمنا العربى والاسلامى فى هذه الأيام . وكل ذلك لا يعدو أن يكون مجرد هزات اجتماعية ، مجرد نفضات واختلاجات للجسم الاجتماعى ، مجرد حركات تولد فيما بعد دائماً مدلول الثورة الحقيقى حيث تتقاذف النتائج والتغييرات الانقلابية فى الوسط الاجتماعى الثورى .

وعلى ضوء ما قدمناه فى إلمامتنا السريعة عن تطوراتنا البشرية وما نسميه منها بالنهضة أو بالحركة أو بالثورة والانقلاب، نستطيع أن نعرف مكاننا الحقيقى اليوم من طور الثورة والانقلاب ، بعد أن عرفنا ماهية تطوراتنا البشرية وماهية الثورة من هذه التطورات. وإذا استثنينا الثورات الصناعية فى حياة المجتمعات استطعنا أن نخلص إلى حقيقة لا تنكر ، تلك هى أن الثورات الاجتماعية لا تقوم فى الحقيقة إلا على أساس فكرة . فكرة عميقة سبقها شعور اجتماعى عميق بها وبالحاجة الملحة إليها، فكرة اجتماعية كلية شاملة لبناء المجتمع بأسره فكرة تحدث فيه بالفعل تغييرات أساسية وخطوطا عميقة جديدة مستقرة ، مستقرة فى بناء المجتمع الجديد . ومن الثورات الاجتماعية تلك الحركات السياسية الجانبية فى فترات النهضات . مع ملاحظة أنها لا تسمى ثورات بل حركات إرهاصية بالثورة الاجتماعية الشاملة لآفاق الحياة الاجتماعية .

وفى عالمنا الأرضى اليوم يتكتل وضعان اجتماعيان اقتصاديان متنافران : وضع شيوعى ووضع رأسمالى ، وكلاهما متطرف فى حساب الطبيعة والفطرة البشرية . فالوضع الشيوعى يقوم على اعتبار الفرد كل شىء واعتبار الفرد فيها ترسا فى آلة لا حساب له إلا فى التزييت والتشحيم ، فتنهدم ذات الفرد وطاقاته وإيماضات معدنه الانسانى الفرد . والوضع الرأسمالى يقوم على اعتبار الفرد كل شىء واعتبار التنافس بين الأفراد ولو بالاستغلال للآخرين شرعة الحياة فينعدم التوازن وتتكون الطبقات من الهوة إلى القمة . وكلا الوضعين لا يمكن أن ينتج للفرد وجوداً إنسانياً ولا للمجتمع حياة مستقرة .

وفى أعماق كوكبنا تشع علينا بذور ثورة اجتماعية اشتراكية ، هى نتاج التفاعل الطبيعى بين وضعين متطرفين: الشيوعية والرأسمالية، وسوف ينمو هذا النتاج ويؤتى أكله إذا قدر للتفاعل البشرى أن يسير فى ملابسات طبيعية متطورة ، وقدر للجنس البشرى أن ينجو من أخطاء الذرة والهيدروجين وملحقاتهما

الصناعية الحربية . ولكى تتم الثورة الاجتماعية الاشتراكية العادلة فى جو طبيعى آمن ، لابد من الثورة الانسانية . الثورة القائمة على أساس عقيدة وعلى أساس تقديس كياننا البشرى الفردى، وعلى أساس قيم إنسانية عميقة تعصمنا من الحمق والاندفاع والانحدار . الثورة القائمة على السيادة الممتدة الجذور فى قيم الانسان الخلقية الثورة الأخلاقية . ونحسب أن عالمنا العربى سيكون مأوى ومنبع ثورة اشتراكية جذورها عميقة فى دينه الاسلامى . ونحسب أن عالمنا الاسلامى سيكون حاضن الثورة الانسانية الأخلاقية التى رفع مشاعلها دائماً أنبياء البشر .

فلكى تتم ثورة بشرية اشتراكية صالحة . لا بد من ثورة إنسانية أخلاقية . ولكى تتم هذه الثورة الأخلاقية لابد من عقيدة بها وإيمان بضرورتها لكياننا الانسانى والاجتماعى والفردى . ولا بد من وعى عميق بالقيم الانسانية . والثقافة والايجابية فى حياتنا هما دعامتا هذا الوعى وذلك الايمان ، وهما شريان الحياة الأوحد لثورة اشتراكية عالمية عادلة .

محمد فياض

صور من الكمال الانسانى

قال حكيم :

إنى مخبرك عن صاحب لى كان أعظم الناس فى عينى ، وكان رأس ما أعظمه عندى صغر الدنيا فى عينه ، فقد كان خارجا من سلطان بطنه ، فلا يشتهى ما لا يجد ، ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو إليه مؤونة ، ولا يستخف له رأيا ولا بدنا ، وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة ، وكان لا يشكو وجعا إلا إلى من يرجو عنده البرء ، ولا يصحب إلا من يرجو عنده النصيحة ، وكان لا يتبرم ، ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم من الولى ولا يغفل عن العدو ، ولا يخص نفسه دون إخوانه بشىء من اهتمامه وحوله وقوته .

المرأة فى مفترق الطريق

ليس عصر من العصور إلا وللمرأة فيه أثر ، وعن المرأة حديث ولها أنصار مخلصون ، وخصوم مبغضون .

والمرأة هى الأم والمعلمة والمربية وشقيقة الرجل وشريكته وريحانته وزهرته وسكنه الذى يأوى إليه وموئله الذى يعتمد عليه ورحمته التى يستمطرها فى دنياه ، ومحط آماله ومبعث أحلامه ، ومبث آلامه . أحبها الرجل فأحب معها الحياة وما فيها من مجد وسؤدد ، ونبل وشجاعة ، وفضل وكرم . هى الظل الظليل والنسيم العليل والعيش الرغد ، وأمنية الراجى وراحة العانى .

إنما المرأة مرآة بها كل ما تبصره منك ولك
وهى شيطان إذا أفسدتها وإذا أصلحتها فهى ملك

ومن الناس من فرضها لغزاً لايحل ، وقضية معقدة ، وتوهمها شراً مستطيرا وخطراً كبيرا وفساداً لا يقبل الاصلاح وكائدة ماكرة ، وأحبولة من حبائل الشيطان الرجيم . وقالوا عنها : إنها قوة فى ضعف وشدة فى لين ، وسر لايعرفه إلا القليل من الناس .

ولقد يحلو لحواء أن تطرب أو تغضب للحديث عنها ، وهى لم تخلق لنفسها ولم يخلق الرجل لعبة يدها ، لكنها خلقت لأداء رسالة فى الحياة وجب أن تقوم بها على الوجه الأكمل الصحيح فهل أدت تلك الرسالة ؟

والمرأة التى أعنيها هى المرأة المثالية التى أشار إليها المصلح الأعظم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه بقوله (مااستفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة إذا أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته

وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله) ابن ماجه فى سننه عن أبى أمامة رضى الله عنه .

وفى هذه العبارات البينات أوضح السيد الرسول وظيفة المرأة وواجبها الدينى والاجتماعى ، وحدد رسالتها التى يجب أن تعنى بها ، والعلاقة بينها وبين زوجها وأسرتها وسائر الناس . فليس من حقها بعد ذلك ولا من مصلحتها أن تخرج عن هذا النطاق المرسوم الذى كفل حقها ، وصالحها الدائم مهما تكن الأسباب والدواعى . بل انه ليس فى تحديد وضع المرأة ظلم لها أو اعتداء على حقها ومصلحتها ؛ فحقها مقدر مقرر بقوله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) وبوصية الرسول صلوات الله عليه فى حجة الوداع .

وهى إذ تعترف بالعجز عن محاكاة الرجل ومساواته ، وتقر بالفوارق الطبيعية بينها وبينه تنادى اليوم بالويل والثبور وعظائم الأمور . وتدعى أنها مهيضة مظلومة معتدى عليها ، فهى عابثه خارجة على الأوضاع الطبيعية ، والنظم الكونية والتعاليم السماوية ، متمردة على الحياة مفسدة لنظامها بما اخترعته وابتدعته من مناكير تجافى الانسانية والخلق والدين ، بل لا تهدف إلى غرض شريف مقبول فيما أحدثته واقتبسته من تقليد وبدع .

وهى إذ تطلب مالا حق لها فيه ، وتطمع فى مساواة الرجل واستغلاله قد تعرف الواجب الانسانى أو الدينى فى أبسط أوضاعهما ، وتنساه أو تتناساه ، ثم تنطلق فى حياة شاذة لا تلوى على شىء ولا تستمع إلى شىء . وكان عليها وهى سيدة القرن العشرين أن ترجع قليلا لتستمع إلى منطق الضمير ، وتعاليم الدين وأدب المجتمع لتعرف حقيقة وظيفتها فى الحياة على وجه محدود ، وتقوم بها فتحسن إلى نفسها وأمتها . لكنها المرأة تطمع فى كل شىء ولا يرضيها شىء بل لا أحسبها راضية عن نفسها اليوم !

وهل ينكر أحد أن الرجل من صنع المرأة ، وأن للمرأة فى حياتنا العامة والخاصة ومجتمعاتنا وتكويننا وتربيتنا ، من الأثر مالا يخفى وهى الأم وكفى . انها معيار الرقى والحضارة ، والانحطاط والضعة .

والمرأة الفاضلة أو المثالية كما يقولون هى التى تعرف قدر نفسها فتقدر رسالتها فى الحياة على وضع سليم صحيح ، وتقوم بواجبها نحو الأسرة والزوج والجماعة بقوة وعزم ، وجهاد وصبر ورغبة فى الخير ، وهى تعيش بالقلب العامر يفهم الحياة على وضع صحيح سليم ، وتملأ البيت سعادة وهناء ، وتقدم لوطنها أسمى وأعز ما يصبو إليه الوطن من نفائس وذخائر .

* * *

لكنها تركت المرأة موقفها فتاهت فى مهامه الحياة وعادت تبكى وما أقرب دمعة المرأة ، وتمردت على وضعها ودينها وعادات قومها ، وأنكرت الأوضاع وهجرتها ، وعادت تتغنى بالحرية الزائفة ، ومحبة السفور البغيض وتجنح إلى التحلل الأخلاقى فتذرع الطرقات . وتغشى الأندية والحفلات ، وتهجر البيت والأسرة . والكثير منهن يعتبر هذا الوضع مقياس الحضارة والتقدم وما إلى الحضارة والتقدم ، وكان من وراء ذلك مشاكل وضحايا وتغيير لوجه الحياة السليمة ، بل عاد الكثير من الغربيين الذين فلدتهم المرأة الشرقية ينظرون إليها نظرات تنطوى على شىء من الأسف والاستغراب .

إن الرجل منا كثيرا ما يلتقى بسيدة ويعجبه منظرها ومظهرها ، فاذا ما تحدث إليها فى أمر أو تحدثت إليه سقطت منه فى هاوية ، ذلك لأنها مخلوق أجوف يردد مختلف الأصوات التى تقع عليه . وأحياناً يرى الرجل سيدة لا يبهره شىء من مظهرها فاذا تحدث إليها أكبرها ، ذلك لأنها سيدة لها شخصية مهذبة وصفات جليلة وثقافة عظيمة .

والثقافة للمرأة فى أية مرحلة تكون من حياتها، تصرفها عن كثير من الخطايا التى قد تدفعها إليها نفسها وتنير لها طرق الحياة ، وتعرفها قدرها على وجه صحيح وأعنى بالثقافة الثقافة الصحيحة اللازمة للمرأة ، والتى تهيئها لأن تكون سيدة شريفة ، وأماً رؤوما ، ذاخرة العواطف بالخير لأولادها وزوجها وأسرتها ووطنها .

ولقد كان للمرأة فى صدر الاسلام وضعها السليم وحياتها المستقرة ، ومنزلتها اللائقة بها ، وكان لأمهات المؤمنين . ونساء الصحابة والتابعين ، أثر لا ينكر فى توجيه الحياة الدينية والعلمية والسياسية مع الأخذ بنصيب صالح منها ، ومع ما كن عليه من التزام الحقوق الزوجية والتمسك بتعاليم الدين والعادات ، كان فيهن رضوان الله عليهن الفقيهة والمحدثة والخطيبة والأديبة والكاتبة ... وكلهن فى زى العفة والحشمة والأدب والوقار ، ضربن المثل العالى للناس فى فنون الفضيلة ثم قدمن للأمم من بين أيديهن علماء وعظماء ، وقواداً فاتحين ، فعرفن كيف يحسن التربية والتعليم وخدمة الدين والوطن .

التوت المرأة عن الطريق فضلت وجهلت فلم تعرف .. وطغت فاستشرى شرها ثم وقفت اليوم حيرى تتجاذبها عواصف الحياة ونوازعها ، ونحن فى حاجة إلى المرأة الصالحة لتقودنا إلى الخير وتربينا على الفضيلة ولم يعد فى الوقت متسع للعبث والمهاترات التى تسمى حقوقاً سياسية أو اجتماعية . يقول السيد لطفى المنفلوطى (علموا المرأة لتجعلوا منها مدرسة يتعلم فيها أولادكم قبل المدرسة وأدبوها ليتربى فى حجرها المستقبل العظيم للوطن الكريم) وتقول الكاتبة الغربية العظيمة فلورنس نيتجيل (إنها امرأة ولذا يجب عليها أن تعنى بكل ما يخص الطفولة والعائلة الانسانية) ويقول بسمارك (امرأتى هى التى جعلتنى من أنا) ونابليون يقول (خير للمرأة أن تنظر فى شأن بيتها وأطفالها من أن تبحث فى أمور لا شأن لها فيها) . وأخيراً أقرر أن المرأة أعظم مخلوق لو عرفت قدر نفسها ، والله الموفق .

أحمد عبد الوهاب الجماحى

خطيب وإمام ومدرس المسجد العباسى ببور سعيد

بريد المجلة :

جاءنا من فضيلة الشيخ فراج نصار مفتش عام مساجد البحيرة بعنوان : الحج ما يأتى :

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى :

«إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين» .

يفد المسلمون من كل فج عميق على الحرم الآمن تهفو إليه نفوسهم وتشتاق إليه أرواحهم إذ هو رمز الوحدة ، وعماد رجاء الأمة . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام .

فيا لها من قداسة أزلية قدسها الله وأعظم حرمتها ، فجعلها حرماً آمنا للخائفين ، ونجاة المطرودين ، وطهرة للمذنبين — لا يختلى خلاها ، ولا يعضد شجرها ، الانسان فيها مطمئن والحيوان آمن . نظر إليها النبى ﷺ لا على أنها قدت من صخر وبنيت من حجر ، وقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك بل نظر إليها على أنها سر من أسرار الله يجتمع حولها القاصى والدانى والصغير والكبير ، والغنى والفقير ، والملك والمملوك ، يتوجه إليها الجميع وجهة واحدة يدعون إلهاً واحداً مخلصين له الدين ، لا يحملهم على تجشم الأخطار وطول الأسفار ذهب براق ولا حدائق غناء على مشارف ومجارى الأنهار .

فرحلة الحج كلها إخلاص ومودة وخضوع وامتثال ، تظهر فيها آثار الوحدة وتتوثق عرى الروابط الاسلامية حينما يرى الانسان نفسه بين الجموع الحاشدة ، وقد تجردوا من كل مميز وفارق وطرحوا كل مظاهر الزينة ، لافرق بين عربى وعجمى وأبيض وأسود، نسى الكل الأهل والوطن والمال والنشب

وتذكر كل اليوم الموعود، يوم يخرجون من الأجداث سراعا حفاة عراة كأنهم جراد منتشر « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم » فحضور هذه المشاهد عظة بالغة وذكرى نافعة، وطهرة من كل دنس ورجس (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) (وما من مسلم صح الله جسمه ووسع له فى رزقه تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد إلى بيته، إنه لمحروم) - (ومن مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانيا) فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، يمحو الذنوب والخطايا حتى التبعات.

فاللهم وفقنا لزيارة بيتك ومشاهدة حرمك كى نحظى بلطفه السامى. اشهدكم يا ملائكتى انى قد غفرت لهم فلأعظمن عليهم المنة ولأجعلن قرارهم الجنة فنعم المنزل ونعم المستقر.

« من صور الايمان »

قال الأصمعى: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قعود له فقال: من الرجل؟ قلت من بنى أصمع. قال من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. فقال: أتل على. فتلوت « والذاريات ذروا فالحاملات وقرا » فلما بلغت قوله « وفى السماء رزقكم وما توعدون ». قال: حسبك. فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى. فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق، فالتفت فإذا بالأعرابى قد نحل واصفر، واستقرأنى السورة فلما تلوت الآية صاح وقال: وهل غير هذا؟ فقرأت « فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » فصاح وقال. يا سبحان الله. من الذى أغضب الجليل حتى حلف؟ لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين. قالها ثلاثا فاضت بعدها روحه.

من عالم الفكر والروح

كتاب من نفثات أفكار صديقنا السيد كمال الشورى مأمور الشهر العقارى ولا أحب أن أقدم هذا الكتاب أو أقدم مؤلفه لأنه يغنيني عن هذا التقديم أن يتابع أو يراجع قراء مجلة منبر الإسلام ماتسطره براعة هذا الكاتب وماسطرته فى هذه المجلة ليقدموا لهم هذا الكاتب وكتابه لأنفسهم . واستمع إلى الكاتب يقدم كتابه إلى قرائه فيقول هو سلسلة من المقالات وملخص لبعض المحاضرات وهى جميعا نفثة من نفثات الفكر الجوال المتفاعل مع البيئة والمجتمع والحياة وكانت أصلا فكرة تنبض كالبذرة الصالحة فى التربة الخصبة فتبدو بادرة ، فاذا مالقيت وسط الصحاب والإخوان ترعرعت زهرة ناضرة) ولقد أحسن المؤلف فى تسمية كتابه (من عالم الفكر والروح) فقد تخير عنوانا يؤلف بين شتات محتوياته فهى كما قال (تدور حول المادة مكفهرة صاخبة وبين الروح ساجية صافية واعتقد أن الذى جانس بينها قبلا ، ونسقها أصلا هو العقل الباطن مما أفرغها فى فى هذا الاتجاه الذى ارتبطت به لتخرج فى هيئة كتاب) وأستطيع أن أؤكد وأنا مطمئن أن قارىء هذا الكتاب سيجد فى تجواله بين صفحاته روحانية التصوف تشرف على روحه ، واخلاص القصد يمتزج بأسلوبه ولست وحدى الذى يصور الكتاب وكاتبه بهذا التصوير فان الدكتور عبد الملك أبو عوف مدرس الكيميا بكلية طب القصر العينى يقول فى تقديم الكتاب (أحب الكتب إلى نفسى تلك التى يربطها رباط واحد وان كانت فى موضوعات مختلفة ، فالمرء يكون بين دفتيها فى نزهة فكرية شبيهة بتلك التى يحسها أثناء تجوله فى حديقة غناء تجلو البصر وتشفى النفس) ثم يقول عن موضوعات الكتاب (وهى تمتاز بأسلوب جميل فيه من الصوفية مظهرها ومن العلمية مخبرها فهو قطعة من الأدب الفذ ، تحمل فى طواياهما من المعلومات والافكار ما يستسيغه القارىء فى هذا العصر الموسوم بطابع السرعة »

أما صاحب الكتاب فمن أسرة العلم ، والده فضيلة الشيخ محمد الطنبشاوى عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا ودراسته حقوقية ونشأته دينية قدمه الأستاذ محمد شريف المستشار بالاستئناف العالى سابقا فقال (انتخب بالتزكية عضوا بمجلس ادارة جمعية الهداية الإسلامية ثم سكرتيرا عاما لها ، وامتد نشاطه إلى الجمعيات الدينية والأدبية والصحف اليومية والمجلات الاسبوعية ، كان يكتب فى جريدة المقطم كل اثنين وخميس ١٩٥٠ — ١٩٥١ ومجلة المقتطف ومجلة اكتونيية الفرنسية فكان هو الوحيد بين المسلمين الذين كتبوا عن الاسلام فى صفحاتها ، ثم اختاره الأستاذ محمد القبانى الصحفى المعروف رئيسا لتحرير مجلة الشعوب الاسبوعية سنة ١٩٥٢) وأخذ عليه عيبا هو أقرب إلى ما يسمى الذم بما يشبه المدح فقال (إنه لا يستقر فى عمل معين فبينما نرآه يكتب لمجلة الهداية الإسلامية يكتب لمجلة (رفيو الانجليزية) وللوسيلة ولمنبر الشرق ولدار الكتاب العربى ولمجلة الروح ولمجلة المسلم ولمجلة السيدات المسلمات ولمجلة منبر الاسلام ، وليس من المستطاع تحليل موضوعاته فهى متنوعة تنوع الأخبار أو تنوع الأزهار وحسبك أن تطلع على فهرس كتابه لتغريك موضوعاته بقراءته واحدا بعد آخر فالى الكتاب والسلام؟

جاد المولى سليمان

« الحياة المستقرة »

قوام الدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه وفقير لا يبيع آخرته بدنياه . فإذا ضيع العالم علمه ، استنكف الجاهل ان يتعلم ، وإذا بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه ، فمن كثرت نعم الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه ، ومن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء ، ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء .

(الامام على)

مطبعة النصر ٢٢٢ شارع الجيش بمصر